

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

التعبئة المعنوية في القرآن الكريم

إعداد

علام عبد القادر محمود الننع

إشراف

الأستاذ الدكتور محمد حافظ الشريدة

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات
العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

2007م

التعبئة المعنوية في القرآن الكريم

إعداد

علام عبد القادر محمود النعنع

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 5 / ربيع الآخر / 1428هـ - 22 / 4 / 2007م. وأجيزت.

التوقيع

أعضاء لجنة المناقشة

محمد حافظ صالح الشريدة

1. الأستاذ الدكتور محمد حافظ الشريدة (مشفراً ورئيساً)

التوقيع

2. الأستاذ الدكتور حلمي كامل عبد الهادي (ممتحناً خارجياً)

محمد الخالدي

3. الدكتور محسن سميح الخالدي (ممتحناً داخلياً)

الإهداء

إلى الرحمة المهداة والنعمة المسداة محمد صلى الله عليه وسلم.

إلى اللذين ربباني ... أمي وأبي... أمد الله في عمرهما وأحسن لهما في الخاتمة.

إلى زوجتي الوفية، التي يسرت سبيل العلم في طريقي... فجزاها الله تعالى عني خيرَ

الجزاء.

إلى ابني علاء الدين وابنتي آية وتسبيح، الذين أسأل الله تعالى لهم العناية والرعاية، وأن

يزيدهم علماً ونوراً وهداية.

إلى أشقائي وشقيقاتي الذين حرصوا على رفع معنوياتي في كل الظروف والأحوال،

أسأل الله تعالى أن يثيبهم خيراً وأن يرزقهم الثبات على هذا الدين.

إلى كل من تربطني بهم صلة قرابة أو نسب أو جوار.

إلى الذين كانوا حريصين على استقامتي وهدايتي، أساتذتي ومشايخي.. خاصة في

مسجد خالد بن الوليد - رضي الله عنه - الذي استقيت منه الأدب والخلق منذ طفولتي.

إلى كل العلماء العاملين في فلسطين وغيرها من بلاد المسلمين.

إلى كل المجاهدين المرابطين على ثرى فلسطين.

إلى شهداء الانتفاضة الأبرار، داعين الله تعالى أن يجمعنا معهم في عليين مع النبيين

والصديقين والشهداء والصالحين.

أهدي هذا الجهد المتواضع

الباحث

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أعانني على إتمام هذه الرسالة، أحمدته على توفيقه ورعايته وبعد.

فإنه لا يسعني إلا أن أتقدم بعظيم الشكر والامتنان لكل من أسهم في هذا البحث حتى خرج إلى حيز الوجود.

وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور محمد حافظ الشريدة، الذي تكرر بالإشراف على هذه الرسالة، وجاد عليّ بوقته وجهده، وفتح لي قلبه وعقله، وأرشدني بتوجيهاته البناءة إلى ما جعل هذا البحث أكثر نفعاً وأعم فائدة.

كما وأشكر الأساتذة في كلية الشريعة في جامعة النجاح الوطنية، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور حلمي كامل عبد الهادي، والدكتور محسن سميح الخالدي، والدكتور مأمون الرفاعي على نصائحهم وإرشاداتهم.

ولا يفوتني أن أشكر العاملين في مكتبة البلدية في مدينة نابلس، الذين قدّموا لي كل التسهيلات الممكنة، وكذلك موظفي مكتبة جامعة النجاح الوطنية.

والشكر موصول إلى كل العاملين في مكتبة مسجد الحاج نمر النابلسي، وأصحاب مركز الحاسوب العربي - في نابلس - والموظفين فيه.

وأخيراً إلى كل من قدّم لي يد العون والمساعدة وافر الشكر وعظيم الامتنان.

الباحث

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
ب	قرار لجنة المناقشة
ت	الإهداء
ث	شكر وتقدير
ج	فهرس المحتويات
د	ملخص البحث
1	مقدمة
4	أسباب اختيار البحث
4	أهمية البحث
5	أهداف البحث
5	الدراسات السابقة
6	منهجية الباحث
7	محتوى البحث
10	الفصل الأول: نظرة شمولية حول التعبئة المعنوية
11	المبحث الأول: عناية القرآن الكريم بهذا الجانب المهم
16	المبحث الثاني: أهمية القوة المعنوية في الحياة ومدى حاجتنا لها اليوم
20	المبحث الثالث: عناية القرآن الكريم بتربية النفوس على طاعة الله تعالى
25	المبحث الرابع: سياسة القرآن الكريم في غرس العقيدة في قلوب المؤمنين
30	الفصل الثاني: معنى التعبئة المعنوية ومنهج القرآن الكريم فيها
31	المبحث الأول: التعبئة في اللغة والاصطلاح وآثارها
31	المطلب الأول: مفهوم التعبئة المعنوية
33	المطلب الثاني: آثار التعبئة المعنوية
35	المبحث الثاني: منهج القرآن الكريم في التعبئة المعنوية
36	المطلب الأول: العقيدة العسكرية الإسلامية وسماتها
38	أهم ما تميزت به عقيدة المسلمين
39	سمات العقيدة العسكرية الإسلامية
40	المطلب الثاني: بعض الأسباب الداعية للقتال في سبيل الله تعالى

الصفحة	الموضوع
42	بعض مبادئ الأخلاق الإسلامية
43	وسائل غرس الأخلاق الإسلامية في النفوس
44	المطلب الثالث: وسائل تربية النفوس على الإرادة القوية
45	أولاً: التذكير بالإيمان
47	ثانياً: الصبر
49	من فضائل الصبر
50	الأسباب التي تؤدي إلى الصبر
52	ثالثاً: الثبات
54	وسائل الثبات على الإسلام
58	رابعاً: العزم
61	خامساً: الحسم
64	الإنسان هو العنصر الحاسم
64	سادساً: الشجاعة
68	شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم وتحريضه على الجهاد
70	صور من شجاعة الصحابة - رضوان الله عليهم -
72	كيفية إزالة الجبن من النفوس
74	سابعاً: البشارة بالجنة
76	نعيم الجنة لا ينتهي له
79	المبحث الثالث: منهج القرآن الكريم في صناعة الأمة
81	بعض مظاهر المنهج القرآني في صناعة الأمة
85	الفصل الثالث: الحرب النفسية من منظور قرآني
86	المبحث الأول: مفهوم الحرب النفسية
86	المطلب الأول: تعريف الحرب النفسية ووسائلها
87	تعريف الحرب النفسية
87	بعض صور الحرب النفسية ضد النبي صلى الله عليه وسلم في العهد المكي
89	الحرب النفسية ضد المسلمين في العهد المدني
90	أهم وسائل الحرب النفسية

الصفحة	الموضوع
96	أنواع الدعاية
98	سبل التخلص من الإشاعة
99	طرق الوقاية من الحرب النفسية
100	المطلب الثاني: أهمية الحرب النفسية
103	المطلب الثالث: أهداف الحرب النفسية
106	المطلب الرابع: الاستدلال بمشروعية الحرب النفسية
106	أولاً: الدليل من القرآن الكريم
107	ثانياً: الدليل من السنة النبوية الشريفة
108	المبحث الثاني: صور رائعة من القيادات
110	المطلب الأول: في تاريخ الصحابة الكرام -خالد بن الوليد-
110	حرص خالد رضي الله عنه- على الجهاد
112	استخدام خالد رضي الله عنه- أساليب جديدة
113	اعتماد خالد-رضي الله عنه- على الإيمان والهمة
114	المطلب الثاني: في تاريخ العلماء العظام -عبد العزيز بن عبد السلام-
115	ثبات العز بن عبد السلام على الحق وموقفه من السلاطين
115	سرعة البديهة عند العز بن عبد السلام
118	المبحث الثالث: أهمية استقلالية الشعوب وعدم التبعية
123	الخاتمة
124	توصيات مقترحة
125	فهرس الآيات
132	فهرس الأحاديث الشريفة
133	التعريف بالمعارك والمواقع
135	التعريف بالأعلام
143	فهرس الأعلام
144	المصادر والمراجع
b	Abstract

التعبئة المعنوية في القرآن الكريم

إعداد

علام عبد القادر محمود الننع

إشراف

الأستاذ الدكتور محمد حافظ الشريدة

المخلص

لقد جعلت البحث في ثلاثة فصول وقفت من خلالها على القضايا الآتية.

في الفصل الأول، تحدثت فيه عن التعبئة المعنوية وعناية القرآن الكريم بهذا الجانب المهم والخطير.

وفي الفصل الثاني، تحدثت عن آثار التعبئة المعنوية في القرآن الكريم، وعن عناصر تحقيق الإرادة القوية وأصولها فيه.

وفي الفصل الثالث، تناولت مفهوم الحرب النفسية والوسائل التي تستخدم لصالح هذه الحرب، بالإضافة إلى أهمية وأهداف هذه الحرب وتأثيرها على النفوس، مع إلقاء الضوء على بعض المشاهد الحية في صور رائعة من تاريخ الصحابة الكرام ثم القادة العظام، ومدى التفوق المعنوي الذي كان عندهم.

ثم ختمت بحثي هذا بالحديث عن أهمية استقلالية الشعوب وخطورة التبعية.

والله وليّ التوفيق

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

القائل في كتابه العزيز: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضْ⁽¹⁾ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ)⁽²⁾.

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وإمام المتقين وقائد المجاهدين محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه، ومن سار على دربه واقتفى أثره إلى يوم الدين، الذي ملأ قلوب صحابته بالشجاعة والفداء، كل ذلك من أجل رفعة هذا الدين وبقاء صولته، ومن أمثلة ذلك ما رواه الصحابي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه - حيث قال: "نزل⁽³⁾ لي النبي صلى الله عليه وسلم كنانته يوم أحد، فقال: "ارم فداك أبي وأمي"⁽⁴⁾.

وبعد... فإن مما لا شك فيه أن الإسلام الذي أكرمنا الله تعالى به، جاء لينظم حياة الناس على المستويين الديني والدنيوي، ولينظم كذلك أمور الحرب باعتبارها ظاهرة اجتماعية، فوضع لها المبادئ والنظريات الأساسية التي قامت عليها أول مدرسة في تاريخ العرب مكتملة الأركان.

ولقد جاءت هذه المبادئ مكتملة لاكتمال حلقات هذا الدين، يقول اللواء محمود خطاب:

"إن العسكرية العربية الإسلامية هي بمثابة العقيدة العسكرية الإسلامية التي وردت تفاصيلها في القرآن الكريم والسنة النبوية والفقه الإسلامي، إذ هي بمثابة مبادئ طبقها

(1) التحريض: الحث على الشيء بكثرة.

انظر: الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن. (د. ط). بيروت: دار المعرفة، (د. ت)، ص 113.

(2) الأنفال: 65.

(3) إننزل ما في كنانته: أي استخرج ما فيها من السهام.

انظر: ابن الأثير، المبارك بن محمد الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر. ج 5. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود أحمد الطناحي، (د. ط)، المكتبة الإسلامية، (د. ت)، ص 16

(4) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة: صحيح البخاري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. كتاب المغازي. باب: إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا. رقم الحديث (4055) (د. ط)، الرياض: بيت الأفكار الدولية. (1914هـ - 1988م). ص 770.

المسلمون الأولون على عهد الرسول القائد عليه الصلاة والسلام، وبعد التحاقه بالرقيق الأعلى، فأحرزوا بتطبيقها الانتصارات المتوالية على أعدائهم المشركين واليهود، -هذا في داخل الجزيرة العربية-، وعلى الفرس والروم وغيرهما من الأمم الأخرى -في خارج شبه الجزيرة العربية- حتى امتدت فتوح المسلمين من المحيط إلى المحيط، ولكن لما تخلى المسلمون عن تطبيق هذه العقيدة تخلى عنهم النصر⁽¹⁾.

يقول الله تعالى: (إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)⁽²⁾.

يقول الإمام الطبري في تفسيره:

"إن ينصركم الله أيها المؤمنون بالله ورسوله -على من ناوأكم وعاداكم من أعدائه والكافرين به- فلن يغلبكم مع نصره إياكم أحد، فلا تهابوا أعداء الله لقلته عددكم وكثرة عددهم، ما كنتم على أمره، واستقمتم على طاعته وطاعة رسوله، وإن يخذلكم ربكم بخلافكم أمره وترككم طاعته وطاعة رسوله فيكلكم إلى أنفسكم، فأيسوا من نصرة الناس، فإنكم لا تجدون ناصرًا من بعد خذلان الله إياكم"⁽³⁾.

وتجدر الإشارة هنا، أن المسلمين قد خاضوا معارك كثيرة واجهوا بها أعداءً يفوقونهم في العدد والعدة، فانتصروا عليهم، هذا بفضل الله تعالى أولاً، ثم بسبب الإرادة الصلبة التي تمتع بها المسلمون الأوائل، بالإضافة إلى مهابة الطرف الآخر لهم.

يقول الله تعالى: (كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)⁽⁴⁾.

(1) خطاب، محمود شيت: العسكرية العربية الإسلامية. ط1. بيروت: القاهرة: دار الشروق. (1403هـ - 1983م). ص7 بتصرف.

(2) آل عمران: 160.

(3) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. مج7. (د. ط). تحقيق: محمود محمد شاكر. مصر: دار المعارف. (د. ت)، ص347. بتصرف.

(4) البقرة: 249.

جاء في تفسير الظلال:

"والعبرة التي تكمن هنا أن القلب الذي يتصل بالله، تتغير موازنه وتصوراته لأنه يرى الواقع الصغير المحدود؛ بعين تمتد وراءه إلى الواقع الكبير، وهكذا تتغير التصورات والموازن للأمور عند الاتصال بالله حقا، وعندها يتحقق بالقلب الإيمان الصحيح، وهكذا يثبت أن التعامل مع وعد الله الواقع للقلوب أصدق من التعامل مع الواقع الصغير الظاهر للعيون" (1).

وحتى يتحقق للأمة ما تريد من عز وغلبة وتمكين، لا بد لها أن تستمد العون من الله سبحانه، مع حرصها الأكيد على توفير الصبر والتغلب على كل معوقات النصر.

يقول الله تعالى على لسان سيدنا موسى عليه السلام مخاطباً قومه: (قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)⁽²⁾.

يقول الإمام الرازي:

"أمرهم بشيئين وبشرهم بشيئين، أما اللذان أمر موسى عليه السلام بهما: فالأول الاستعانة بالله تعالى، والثاني الصبر على البلاء، وأما اللذان بشر بهما: فالأول قوله تعالى: (إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ)، والثاني قوله تعالى: (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)⁽³⁾.

وهنا نقول: هل هناك من دروس مستقاة أكثر فائدة وأعمق معنى -لإيجاد النفوس التواقفة لكل معاني القوة المعنوية- من تلك التي كانت من خلال المدرسة النبوية، والتي هي عبارة عن ترجمة عملية وتصوير واقعي وتطبيق حي للمفاهيم القرآنية؟

(1) قطب، سيد: في ظلال القرآن. ط 15. مج 1. بيروت: دار الشروق. (1408هـ - 1988م). ص 263.

(2) الأعراف: 128.

(3) الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر: التفسير الكبير. ج 14. ط 2. طهران: دار الكتب العلمية. (د.ت).

ص 212. بتصرف.

وفي نهاية هذه المقدمة نسأله تعالى أن يعيد للأمة الإسلامية مجدها وسؤدها، إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

أهمية البحث:

أولاً: أنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بواقع الأمة الإسلامية بعد أن تكالبت عليها الأمم، كما تتكالب الأكلة على قصعتها.

ثانياً: ما من أمة إلا وتريد النصر والتمكين على الأرض التي تحيا عليها، وهذا موضوع يؤهلها أن تكون من أهل هذا المبتغى، ولن يتحقق ذلك إلا من خلال شحذ الهمم والتسابق نحو القمم.

ثالثاً: من شأن هذا البحث أن يعمل على ملء القلب باليقين الكامل بالله تعالى، مع عدم الاستسلام للواقع أو الانزلاق في مستنقع الإحباط والتشنج .

رابعاً: إن الأمة الإسلامية اليوم، بحاجة إلى هذا العناد المعنوي أكثر من حاجتها للطعام والشراب، إذ به تحيا بعزة وإياء، وبدونه تموت وإن عاشت، أملين لهذه الأمة أن تعود لها سيرتها الأولى وأن تستأنف حياتها الكريمة العزيزة، حتى تعود مرهوبة الجانب محفوظة الحمى، موفورة الحقوق، وضاءة الجبين.

أسباب اختيار البحث:

1. إن كثيراً من كتب التفسير عند عرضها للآيات المتعلقة بالتعبئة المعنوية تقتصر على إيضاح ما تحمل هذه الآيات من معان وعلوم لغوية دون الخوض في مواضيع فكرية.
2. عدم وجود كتاب مستقل يتحدث عن ظاهرة التعبئة المعنوية وأهميتها.
3. أن الكتب التي تعرضت لهذا الموضوع تناولته باقتضاب وعدم شمولية، لذا وجدت أنه من الضرورة بمكان جمع وصياغة هذه الأفكار في إطار مستقل يجمع شتاتها، ويتناول جوانبها.
4. رغبتني في الكتابة في هذا الموضوع، وما وجدته من تشجيع.

أهداف البحث:

أمل من الله تعالى أن يحقق هذا البحث عدة أهداف هي:

1. الوقوف على الآيات القرآنية التي تشير إلى العمل على شحذ الهمم والاستمرار بالنهوض نحو المعالي.
2. الوقوف على بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم الصحيحة، التي تتحدث عن الجد ، ورفع الهمة، والنشاط.
3. الوقوف على بعض الغزوات التي حدثت مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم.
4. الخروج بدروس وعبر مفيدة من خلال تحليل النصوص الواردة بذلك.
5. تسليط الضوء على بعض المواقف من أهل السلف الشاهدة على البطولة والثبات على المبدأ.
6. العمل على إزالة الخور والجبن من نفوس كثير من المسلمين.

الدراسات السابقة:

اعترافاً منا لأهل الفضل بفضلهم، أذكر باختصار عدداً من الدراسات التي خلفها الباحثون لنا في موضوع التعبئة المعنوية:

1. كتب تفسير القرآن الكريم وفي مقدمتها (في ظلال القرآن) للشهيد سيد قطب.
2. جهد الإمام أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي -المتوفى سنة 676هـ - في كتابه (صحيح مسلم بشرح النووي) على تبيان الكثير من مقاصد النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديثه الكثيرة عن هذا الجانب المهم.
3. كما سار على النهج نفسه الإمام أحمد بن حجر العسقلاني - المتوفى سنة 852هـ - في كتابه (فتح الباري في شرح صحيح البخاري).

4. كتب السيرة النبوية مثل (سيرة ابن هشام)، حيث إنها حوت الكثير من المواقف والمشاهد البطولية التي كانت من شخصه صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام رضوان الله عليهم.

5. ساهم اللواء الركن محمود شيت خطاب في كتبه العديدة وفي مقدمتها (الرسول القائد)، بإعطاء صورة شاملة عن التعبئة اللازمة لتحصيل العزة والكرامة لهذه الأمة.

6. تحدث الدكتور أحمد نوفل في كتابه (الحرب النفسية من منظور إسلامي ج2) حيث إنه سلط الأضواء على كثير من الآيات الداعية للعمل على الإعداد والنفير.

7. كتب الدكتور عبد الرحمن العيسوي عن الجانب النفسي لدى الإنسان وأهمية التعرف عليه بالإضافة إلى الحرب النفسية والدعائية.

8. أشار الأستاذ عبد الله علوان في كتابه (تربية الأولاد في الإسلام) إلى مسؤولية التربية النفسية، وضرورة تنشأة الولد على الجرأة والشجاعة.

9. كما أشار الأستاذ عبد الله الحريري في كتابه (الانهزام النفسي) إلى العمل على رفع الروح المعنوية لعامة الناس في الوطن الإسلامي.

وإنني أسأل الله تعالى أن يجزي كل من أثرى هذا الجانب المهم -بكتاباته وملحوظاته- خير الجزاء، وأن يوفقني لجمع شتات هذا البحث وأن آتي به وفق الأصول والقواعد والضوابط العلمية، آخذاً بيد القارئ نحو شحذ الهمم وتحقيق التغلب على الصعاب.

منهجية الباحث:

سيبنى هذا البحث -بإذن الله تعالى- على المنهج الموضوعي وذلك من خلال:

1. الرجوع لكتب التفسير والحديث والمؤلفات المختلفة في هذا الموضوع.
2. العمل على تلخيص ما ذكر بإسهاب في تلك المصادر والمراجع مع الإشارة لذلك

3. إتباع الأسلوب العلمي في كتابة الأبحاث بما يتفق مع الخطة المتبعة في عمل الرسائل الجامعية بحيث تشتمل على:

- التقسيم: فصول ومباحث ومطالب.
- توثيق الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث الشريفة بإيجاز.
- توثيق المعلومات بشكل دقيق وإيعاز الأقوال إلى أصحابها.
- وضع علامات الترقيم والتصنيف.
- الترجمة للأعلام.

محتوى البحث:

الفصل الأول: نظرة شمولية حول التعبئة المعنوية، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: عناية القرآن الكريم بهذا الجانب المهم.

المبحث الثاني: أهمية القوة المعنوية في الحياة، ومدى حاجتنا لها اليوم.

المبحث الثالث: عناية القرآن الكريم بتربية النفوس على طاعة الله تعالى.

المبحث الرابع: سياسة القرآن الكريم في غرس العقيدة في قلوب المؤمنين.

الفصل الثاني: معنى التعبئة المعنوية ومنهج القرآن فيها، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعبئة في اللغة والاصطلاح.

المطلب الأول: مفهوم التعبئة المعنوية في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: آثار التعبئة المعنوية.

المبحث الثاني: منهج القرآن الكريم في التعبئة المعنوية وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العقيدة العسكرية الإسلامية وسماتها.

المطلب الثاني: الأخلاق العسكرية وغاياتها.

المطلب الثالث: الإرادة القوية وأصولها في القرآن الكريم، وفيه الفروع الآتية:

الفرع الأول: التنكير بالإيمان.

الفرع الثاني: الصبر.

الفرع الثالث: الثبات.

الفرع الرابع: العزم.

الفرع الخامس: الحسم.

الفرع السادس: الشجاعة.

الفرع السابع: البشارة بالجنة.

المبحث الثالث: آثار منهج القرآن الكريم في صناعة الأمة.

الفصل الثالث: الحرب النفسية من منظور قرآني وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الحرب النفسية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الحرب النفسية ووسائلها.

المطلب الثاني: أهمية الحرب النفسية.

المطلب الثالث: أهداف الحرب النفسية.

المطلب الرابع: الاستدلال بمشروعية الحرب النفسية.

المبحث الثاني: صور رائعة من القيادات ومدى التفوق المعنوي فيها، وفيه ثلاثة

مطالب:

المطلب الأول: في تاريخ الصحابة الكرام.

المطلب الثاني: في تاريخ العلماء العظام.

المبحث الثالث: أهمية استقلالية الشعوب وخطورة التبعية.

الخاتمة: وفيها خلاصة البحث.

الفصل الأول

نظرة شمولية حول التعبئة المعنوية

المبحث الأول

عناية القرآن الكريم بهذا الجانب المهم

هذا المبحث يتناول جانباً هاماً وخطيراً من جوانب هذا الدين العظيم، الذي إن طُبِّق، بقيت الأمة بكيانها وقوتها وكرامتها، وإن خلا هذا الجانب منها ضاعت هيبتها وتكالبت عليها الأمم ومزقتها، وإن كثرت عددها وتعاضمت عدتها.

إنه الجانب المعنوي بشتى صنوفه وأشكاله، وفي أعلى درجاته ومستوياته، وذلك كي تبقى الأمة متأهبة لملاقاة عدوها والتصدي له في أي وقت طلب منها ذلك.

وإن مما لا شك فيه أن الله تعالى قد وعد في القرآن الكريم بأنه ناصر جنده، فقال تعالى: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ)⁽¹⁾.

أي ولقد سبق وعدنا أن العاقبة للرسول وأتباعهم في الدنيا والآخرة، فننصرهم على أعدائهم بقهرهم، والنيل منهم بقتلهم أو تشريدهم أو إجلائهم عن الأوطان أو أسرهم أو نحو ذلك⁽²⁾.

وهو سبحانه حافظ أوليائه لقوله سبحانه: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ⁽³⁾ لَأَخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)⁽⁴⁾

(1) الصافات: 171-173.

(2) المراغي، أحمد مصطفى: تفسير المراغي. ج23. ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (1394هـ - 1974م). ص91.

(3) الولي: هو القريب.

انظر: الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. بتصرف. (مرجع سابق). ص367.

(4) يونس: 62.

جاء في تفسير أبي السعود:

والمراد بأولياء الله: خلَّص المؤمنين لقربهم الروحاني منه سبحانه وتعالى، ومعنى لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؛ أي في الدارين من لحوق مكروهه، أو فوات مطلوب⁽¹⁾.

وجاء في تفسير الشعراوي: وأولياء الله لا خوف عليهم لأنهم دائماً بصدد معرفة حكمة الله⁽²⁾ فكانهم قربوا منه تعالى، لاستغراقهم في نور معرفته وجماله وجلاله⁽³⁾.

كما أنه سبحانه مؤيد رسله وأنبيائه الذين اصطفاهم للذود عن حياض هذا الدين وإعلاء كلمة الحق في العالمين، ولكن قد يعاند بل يحارب هذا الدين فئات من الناس حسداً من عند أنفسهم وحقداً منهم على غيرهم.

وفي المقابل يظن بعض الناس بأن الخوارق التي امتاز بها الرسل الكرام والأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين، بالإضافة إلى الحصانة الإلهية التي كانوا يتمتعون بها، كقيلة بإيجاد الروح المعنوية العالية، ولكن نقول هنا بأن الصبر والتحمل وعدم الوهن والضعف والخضوع لغير الله تعالى، بالإضافة إلى المعية الإلهية، كل ذلك من شأنه أن يحرز الإيمان الذي به يستحق صاحبه النصر والتمكين وصولاً إلى المحبة الإلهية، قال تعالى: (وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُّونَ⁽⁴⁾ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا⁽⁵⁾ وَاللَّهُ

يُحِبُّ الصَّابِرِينَ⁽⁶⁾). أي "وما ضعفوا لعدوهم ولا ذلوا له بل استمر من بقي منهم على الجهاد والعزة والإسلام"⁽⁶⁾.

(1) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي: تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. مج2. ج4. (د.ط.). بيروت: دار إحياء التراث العربي. (د.ت.). ص158. بتصرف.

(2) الشعراوي، محمد متولي: تفسير الشعراوي. أخبار اليوم. ج10. (د.ط.). (1411هـ - 1991م). ص6034.

(3) النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان. مج3. ط1. بيروت: دار الكتب العملية. (1416هـ - 1996م). ص596.

(4) الرِّبَانِي: قيل منسوب إلى الربِّ الذي هو المصدر، وهو الذي يُرَبُّ العِلْمَ كالحكيم، والجمع: ربانيون، وقوله تعالى (ربيون كثير) فالرَّبِّيُّ كالرَّبَّانِيِّ، بتصرف يسير.

انظر: الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. (مرجع سابق)، ص184.

(5) آل عمران: 146.

(6) حوى، سعيد: الأساس في التفسير. مج2. ط1. القاهرة: دار السلام. (1405هـ - 1985م). ص889. بتصرف.

ويتضح من ذلك عظم درجة الشجاعة التي كان يتمتع بها كثير من الصحابة -رضوان الله عليهم - أمام ما لاقوا من أعدائهم، ولكن هذا لا يمنع من أخذ الحيطة والحذر، وهذه سنة قائمة إلى يوم الدين، ولهذا قال الله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ)**⁽¹⁾.

وهذا خطابٌ للمؤمنين المخلصين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وأمرٌ لهم لجهاد الكفار والخروج في سبيل الله وحماية الشرع، وأمرهم أن لا يقتحموا على عدوهم على جهل حتى يتحسسوا إلى ما عندهم ويعلموا كيف يردون عليهم فذلك أثبت لهم فقال: "خذوا حذرکم" فعلمهم مباشرة الحروب ولا ينافي هذا التوكل⁽²⁾.

يقول اللواء خطاب: "لقد عمل الرسول صلى الله عليه وسلم بكل مبادئ الحرب المعروفة بالإضافة إلى مزاياه الشخصية الأخرى في القيادة، لهذا انتصر على أعدائه، ولو أغفل شيئاً من الحذر والحيطة والاستعداد لتبدل الحال غير الحال.

ثم أضاف قائلاً: ماذا كان يحدث لو تردد الرسول صلى الله عليه وسلم قبل معركة بدر، عندما رأى المشركين متفوقين على أصحابه بالعدد والعدة؟

ماذا كان يحدث لو ضعفت مقاومته للأحزاب في غزوة الخندق، خاصة بعد خيانة اليهود، حين أصبح مهدداً من خارج المدينة ومن داخلها!"⁽³⁾

لكنها الدقة المتناهية والاستعداد الفائق والحذر الشديد والحيطة الأكيدة التي أحاطت به صلى الله عليه وسلم وبصحابته الكرام وتوج ذلك كله بالاتكال المطلق على الله عز وجل الذي لا يخذل عباده الصالحين فضلاً عن أنبيائه المصطفين، وكان عليه الصلاة والسلام -وبجانب هذا كله- قد ربي صحابته على ضرورة عدم الاغترار بالقوة التي هي منةٌ من الله تعالى لهم، بل عليهم أن يظهروا الفقر والذل والمسكنة لله وحده وقد كانوا كذلك حتى أعطاهم ما

(1) النساء: 71.

(2) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن. مج3. ج5. (د.ط.). بيروت: دار إحياء التراث العربي. (1965م). ص273.

(3) خطاب، محمود شيت: الرسول القائد. ط2. بغداد: مكتبة الحياة ومكتبة النهضة. (1960م). ص7.

أرادوا، فقال الله تعالى في حقهم: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ⁽¹⁾ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ)⁽²⁾

وحول هذا المعنى أخرج الإمام مسلم في صحيحة عن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- قال: " لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر رضي الله عنه - فأخذ رداؤه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه ثم قال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ) فأمده الله بالملائكة"⁽³⁾.

من هنا نعي جيداً أنه لا بد من توفر الإيمان، ومن ثم العمل على شحذ النفوس بالتضرع والتبتل إليه سبحانه بالإضافة إلى إيجاد العدة والتي ليست أهم من الأولى.

ويندرج تحت هذا الإعداد الإيماني إعداد تخطيطي حيث إنه لا غنى عنه، ولهذا روى أبو هريرة رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الحرب خدعة"⁽⁴⁾.

ويعرف الخداع بمعناه العام: بأنه تضليل العدو وجعله يقوم بما من شأنه أن يحقق غايات الخداع⁽⁵⁾.

هذا عدا عن صقل النفوس بالإخلاص، وقيامه صلى الله عليه وسلم بتجديد النوايا والعزائم لدى صحابته الكرام - رضوان الله عليهم - حتى لا يشوب هذا العمل النبيل أي شائبة من حطام الدنيا وبهرجها، والشاهد على ذلك ما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه-

(1) والغيث يقال في المطر واستغثته: طلبت الغوث أو الغيث.

انظر: الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. (مرجع سابق). ص367. بتصرف.
(2) الأنفال: 9.

(3) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم. ج3. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. كتاب الجهاد والسير. باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم. رقم الحديث (1763). ط1. دار إحياء المكتبة العربية. (1375هـ - 1955م). ص1383.

(4) (المرجع السابق)، باب: جواز الخداع في الحرب، رقم الحديث (1740)، ج3، ص362.

(5) كاظم، مازن عبد المجيد؛ وشاهين، حازم عبد الله: مبادئ التمويه. (د. ط.). (د. ت)، ص49.

قال: "قال أعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم: "الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر ويقاقل ليرى مكانه، من في سبيل الله؟ فقال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"⁽¹⁾.

إن هذه الروح المعنوية العالية التي أرادها الرسول صلى الله عليه وسلم لصحابته الكرام، ما كان لها أن تتوفر لولا وجود الإيمان في النفوس، وحول هذا المعنى يقول الأستاذ محمد فريد وجدي: "وهذا الإيمان الذي نفثه محمد صلى الله عليه وسلم في روع جماعته، فجعلهم يتلقون ما يلقي إليهم بلهف عظيم، فتتكيف به نفسياتهم، ويصبح حالاً لها كأنها ولدت مفطورة عليه"⁽²⁾.

كما لا بد من القول "إن الله تعالى هو الحق، لا ينصر إلا الحق، وإذا كانت الدولة لأهل الباطل فبحسب ما معهم من الصبر، والصبر منصور أبداً، فإن كان صاحبه محقاً، كان منصوراً له العاقبة، وإن كان مبطلاً، لم يكن له عاقبة"⁽³⁾.

يقول الإمام الغزالي: "اعلم أن جميع ما يلقي العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين، أحدهما هو الذي يوافق هواه، والآخر هو الذي لا يوافق بل يكرهه، وهو محتاج إلى الصبر في كل واحد منهما، وهو في جميع الأحوال لا يخلو من أحد هذين النوعين أو عن كليهما، فهو إذاً لا يستغني قط عن الصبر"⁽⁴⁾.

و يتضح لنا أن القرآن الكريم قد اشتمل على كثير من الآيات التي تدفع الإنسان إلى إحراز الهمة والنشاط، دون تلكؤ أو تباطؤ، ذلك لأن النفس البشرية إن لم تعبأ بما ينعكس عليها من خير، فسوف تبقى رهينة في أيدي الآخرين، صغيرة في عيون أعداء الملة وأعداء الدين.

"لكن الإسلام يبقى العلاج المؤدي إلى صحة المجتمعات وقيام الراقي من الحضارات؛ ولا يؤدي دوره هذا إلا إذا تولى فقهه أولوا الألباب النيرة والإرادات العازمة"⁽⁵⁾.

(1) البخاري: صحيح البخاري. كتاب فرض الخمس، باب: من قاتل للمغنم هل ينقص من أجره؟ رقم الحديث (3126)، ص 597. (مرجع سابق).

(2) وجدي، محمد فريد: السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة. ط 1. لبنان: الدار المصرية اللبنانية. (1413هـ - 1993م)، ص 196.

(3) ابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر: إعلام الموقعين عن رب العالمين. مراجعة: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجليل. (د. ط.). بيروت: (1973). مج 1. ج 2. ص 178. بتصرف.

(4) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: إحياء علوم الدين. مج 4. ط 1. القاهرة: دار الوثائق. (1420هـ - 2000م)، ص 1411.

(5) الكيلاني، ماجد عرسان: هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس. (د. ط.). فلسطين: مركز بيت المقدس.

(د. ت)، ص 344.

المبحث الثاني

أهمية القوة المعنوية في الحياة، ومدى حاجتنا لها اليوم

إن للقوة المعنوية في الحياة أهمية عظمى، بل هي من أخطر الموضوعات داخلياً وخارجياً، ولا نقول ذلك من باب الحماسة فحسب، بل من باب الحقيقة القائمة.

وتتمثل هذه القوة بغرس الرغبة الأكيدة لدى الجند في الصمود والثبات في ميدان القتال وتحمل أعباء الحرب والاستهانة بجميع ما يحدث من أضرار مما يجعل الروح المعنوية عالية.

ولعلَّ أجهزة الإعلام هي العامل الأهم في دعم هذا الاتجاه بما يرفع من معنويات الشعوب أو العمل على تراجعها، وهذه الأجهزة، إما أن تكون مسموعة أو مرئية، كالإذاعة والتلفزيون والسينما وأشرطة الفيديو وكل ما يتعلق بالحاسوب، بالإضافة إلى وكالات الأنباء المحلية والخارجية. ومنها ما هو مطبوع، كالكتب والصحف والنشرات، ومنها ما هو مصوّر ومرسوم كالمصقات واللافتات والكاركاتيرات وغير ذلك مما سنشير إليه فيما بعد.

"ولهذا تعد الروح المعنوية، سواء للجند أو للأشخاص المدنيين جوهر الحرب النفسية، وكل الجهود التي تبذل باستخدام مختلف أساليب الحرب النفسية، هدفها الأساسي هو إضعاف الروح المعنوية للخصم أو العدو، وخلق ما يسمى بالروح الانهزامية لديه"⁽¹⁾.

يقول الله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ⁽²⁾ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)⁽³⁾.

(1) سيد عبد الله، معتز: الحرب النفسية والشائعات. (د. ط.). القاهرة: دار غريب. (1997م). ص58.

(2) الرهبة والرهب: مخافة مع تحرز واضطراب.

انظر: الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. (مرجع سابق). ص204.

(3) الأنفال: 60.

جاء في التفسير المنير:

أي هينوا لقتال الأعداء ما أمكنكم من أنواع القوى المادية والمعنوية المناسبة لكل زمان ومكان، ومن مرابطة الخيول في الثغور والحدود، وقد كانت الخيول أداة الحرب البرية الرهيبة في الماضي، وما تزال لها أهميتها في بعض ظروف الحرب الحاضرة⁽¹⁾.

ومن هنا نعي جيداً بأن الإسلام جاء حاملاً في طياته كلَّ معاني العزة والكرامة والإباء، لمن سلكوا طريقه وعملوا بمقتضاه، وذلك كي يبقى مرهوب الجانب، قوي الإرادة، فقال تعالى: **﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾**⁽²⁾.

يقول صاحب الظلال: ويضم الله سبحانه رسوله والمؤمنين إلى جانبه، ويضفي عليهم من عزته، وهو تكريم هائل لا يكرمه إلا الله وأي تكريم بعد أن يوقف الله سبحانه رسوله والمؤمنين إلى جواره، ويقول ها نحن أولاء هذا لواء الأعداء⁽³⁾.

ولعلَّ من أهم العوامل التي تحافظ على المعنويات في نفوس أصحابها:

1- عدم الفرع والخوف، وإن صحَّ ما أُشيع:

ولهذا قال الله تعالى في كتابه الكريم موجهاً الملامة إلى بعض الذين قعدوا عن القتال -في معركة أحد- بعد تلقيهم خبر موت رسول الله صلى الله عليه وسلم:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾⁽⁴⁾.

قال الإمام الطبري في تفسيره: "وما محمدٌ إلا رسولٌ كبعث رسل الله الذين أرسلهم إلى خلقه، داعياً إلى الله وإلى طاعته، الذين حين انقضت آجالهم ماتوا وقبضهم الله إليه. ثم قال

(1) الزحيلي، وهبه: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ج10. ط1. بيروت: دار الفكر المعاصر. ودمشق: دار الفكر. (1411هـ - 1991م). ص49-50. بتصرف.

(2) المنافقون: 8.

(3) قطب، سيد: في ظلال القرآن. مج6. (مرجع سابق)، ص3580. بتصرف.

(4) آل عمران: 144.

لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم معاتبهم على ما كان منهم من الهلع والجزع: أفإن مات محمد، لانقضاء مدة أجله أو قتله عدو، ارتددتم عن دينكم الذي بعث الله محمداً بالدعاء إليه؟ (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً) يعني بذلك: ومن يرتد عن دينه ويرجع كافراً بعد إيمانه، فلن يوهن ذلك عزة الله ولا سلطانه. (وسيجزي الله الشاكرين) يقول: وسيثيب الله من شكره على توفيقه وهدايته إياه لدينه بنبوته على ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾.

وعن ضرورة ثبات القلب وعدم زعزعة الصف الداخلي إذا ما حدث حادث يقول السهيلي: حين انقلب أهل الردة على أعقابهم، فلم يضر ذلك دين الله ولا أمة نبيه، وكان أبو بكر يسمى أمير الشاكرين لذلك⁽²⁾.

2- وحدة الصف المسلم:

ذلك لأن العدو دائماً يحرص على إقامة الفرقة بين أبناء الصف الواحد، وزرع بذور الفتنة والتمزق، ولهذا قال تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا)⁽⁴⁾.

جاء في تفسير الإمام الطبري:

"تعلقوا بأسباب الله جميعاً، وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به وعهده الذي عهدته إليكم في كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله"⁽⁵⁾.

وفي ذلك يقول الأستاذ محمد محفوظ: إن الله تعالى أمر المؤمنين أن ينفضوا عن أنفسهم كل آثار الجاهلية من الكفر والفرقة والعداوة. ثم نهاهم عن التفرق الذي هو الضعف والفتل وتمكن الأعداء⁽⁶⁾.

(1) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. مج7. بتصرف. (مرجع سابق). ص251-252.
(2) السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن: الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام. ج3. مج2. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. (د. ط.). القاهرة: مؤسسة مختار. (د. ت.). ص193.
(3) الحبل: هو ما استعير للوصل ولكل ما يتوصل به إلى شيء، ويقال للعهد حبل. انظر: الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. (مرجع سابق)، ص107.
(4) آل عمران: 103.
(5) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. مج7. (مرجع سابق)، ص70.
(6) محفوظ، محمد جمال الدين: النظرية الإسلامية في الحرب النفسية. (د. ط.). دار الاعتصام. (د. ت.). ص47.

ونحن إذ نتحدث عن أهمية القوة المعنوية ومدى حاجتنا لها اليوم، نرى هنا بأن الأمة كلما استقام دينها، وحافظت على مقوماتها، واستعلت على سفاسف أمورها، كلما قل خطر الفتك بمعنوياتها من قبل أعدائها الخارجين، حيث إن الأعداء -في جميع الأحيان- يحرصون للنيل من عزيمة وإرادة من استقاموا على دينهم، يقول الله تعالى: (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ)⁽¹⁾.

جاء في التفسير (ودَّ كثير من أهل الكتاب) يعني أحبارهم (لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً) مرتدين (حسداً من عند أنفسهم) أي تمنوا ذلك من عند أنفسهم، لا من قبل التدين والميل مع الحق، (من بعد ما تبين لهم الحق) بالمعجزات والنعوت المذكورة، في التوراة⁽²⁾.

"أي أن تمنهم بردة المسلمين إلى الكفر؛ أساسه الحسد الذي تختزنه نفوس هؤلاء الضالين المبغضين، والذين لا يتمنون للإسلام والمسلمين غير التدمير والخسران"⁽³⁾.

"وما من شك أن ما تتبعه الجيوش العربية الآن؛ إنما هو نابع عن استراتيجيات إما شرقية أو غربية، وقد بدأ الباحثون في العلوم العسكرية في الدول العربية، يكتبون في ضرورة رسم وتبني إستراتيجية عسكرية تتبع من الأصول الراسخة، وتصدر عن العقيدة الإسلامية، ولدينا المقدار الهائل مما خلفه لنا قادتنا المسلمون الأوائل، ولا نخفل بالوقت نفسه، ما يمكن أن نستفيد منه في هذا المجال من معطيات العسكرية الحديثة مما لا يتعارض والتصور الإسلامي"⁽⁴⁾.

(1) البقرة: 109.

(2) البيضاوي، أبو سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر السيرازي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل. المعروف بتفسير البيضاوي. مج 1. (د. ط.). بيروت: مؤسسة شعبان. (د. ت.). ص 180-181.

(3) عبد العزيز، أمير: تفسير سورة البقرة. ط 1. بيروت: مؤسسة الرسالة. دار الفرقان. (1405هـ - 1985م) ص 175.

(4) الدباغ، مصطفى: المرجع في الحرب النفسية. ط 1. عمان: دار الفارس. (1998م). ص 289.

وحول هذا المعنى يقول الدكتور محمد العيسوي: "لقد كان لإسلامنا الحنيف فضل سبق على النظريات الغربية في التربية وعلم النفس، ذلك لأن التعاليم الإسلامية نابعة من القرآن الكريم، فالتعاليم الإسلامية تغذي الفطرة السوية وتقويها"⁽¹⁾.

المبحث الثالث

عناية القرآن الكريم بتربية النفوس على طاعة الله تعالى

أكرم الله تعالى عباده المؤمنين بالقرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو العلاج الحقيقي لكل ما يعلق بالنفوس البشرية من أذى معنوي، مصداقاً لقوله تعالى: (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً)⁽²⁾.

يقول الإمام الرازي: واعلم أن القرآن شفاءً من الأمراض الروحانية، وشفاءً أيضاً من الأمراض الجسمانية⁽³⁾.

وقال الإمام ابن القيم: والمرض نوعان: مرض القلوب، ومرض الأبدان، وهما المذكوران في القرآن.

ومرض القلوب نوعان: مرض شبهه وشك، ومرض شهوة وغي، وكلاهما في القرآن، قال تعالى في مرض الشبهة: (فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بما كانوا يكذبون)⁽⁴⁾.

(1) العيسوي، محمد عبد الرحمن: موسوعة علم النفس الحديث. مج13. ط1. بيروت: دار الراتب الجامعية. (2001-

2002م). بتصرف يسير. ص264.

(2) الإسراء: 82.

(3) الرازي: التفسير الكبير. ج21. بتصرف. (مرجع سابق)، ص34.

(4) البقرة: 10.

وقال تعالى في حق من دُعي إلى تحكيم القرآن والسنة، فأبى وأعرض: (وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكَمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا)⁽¹⁾.

وأما مرض الشهوات، فقال تعالى: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ)⁽²⁾⁽³⁾.

ولقد عني القرآن الكريم بتربية وترويض هذه النفوس على الطاعة وعدم التمرد، وذلك ببذل ما هو مستطاع من أجل رضا الله تعالى، ورفع شأن دينه سبحانه، ومن ثم تحقيقاً لكل معاني العبادة التي من أجلها خلقنا الله تعالى، وعلى رأس ذلك توحيده وعدم الشرك به، يقول الله عز وجل: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)⁽⁴⁾.

والمعنى: "وما خلقت أهل السعادة من الجن والإنس، إلا ليوحدون"⁽⁵⁾.

ولهذا عرف الإمام ابن تيمية العبادة فقال: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة⁽⁶⁾ وما دام القرآن الكريم يعمل على تربية النفوس وتهذيبها فالأصل أن تعكس هذه التربية -على صاحبها- عملاً وعتاءً دائمين مع الحرص على تحقيق معنى الإيمان الذي لا يعود على صاحبه إلا بالخير في الدنيا قبل الآخرة، "فالإيمان الحق -كما يقول الدكتور الصلابي- ما وقر في القلب وصدقه العمل، وما خلق الله الناس إلا ليعملوا"⁽⁷⁾.

(1) النور: 48-50.

(2) الأحزاب: 32.

(3) ابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر: الطب النبوي. تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، (د. ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي. (د. ت). ص 1-2، بتصرف.

(4) الذاريات: 56.

(5) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. مج 9، ج 17، (مرجع سابق)، ص 55.

(6) ابن تيمية، تقي الدين أحمد: العبودية في الإسلام. ط 3، المطبعة السلفية، القاهرة: (1398هـ)، ص 4.

(7) الصلابي، علي محمد محمد: تبصير المؤمنين بفقهاء النصر والتمكين في القرآن الكريم. ط، إدار الفجر للتراث،

(1424هـ-2003م)، ص 411.

ولا شك أن أسمى درجات العمل؛ التجلد أمام الأعداء، يقول الله تعالى (يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ
كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ⁽¹⁾).

والثبات هنا يعني: بدء الطريق إلى النصر⁽²⁾.

وفي هذه الآية يقول القرطبي: أي أذكروا الله عند جزع قلوبكم، فإن القلب لا يسكن
عند اللقاء، ويضطرب اللسان، فأمر بالذكر حتى يثبت القلب على اليقين، ويثبت اللسان على
الذكر⁽³⁾.

وهنا نقول: هل هنالك من تربية حقيقية -على وجه الأرض- كالقرآن الكريم في تربية
أتباعه؛ على النهج القويم، والقول السديد، حتى في الظرف العصيب والخطر الشديد؟

وعلى المسلم -كذلك- أن يصبر على طاعته الله سبحانه وتعالى، وقد أعدَّ الله تعالى
أجراً لا حصر له لعباده الصابرين، فقال: (إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ
أُجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)⁽⁴⁾.

قال الإمام النسفي: إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب: على مفارقة أوطانهم
وعشائرتهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد
الخير⁽⁵⁾.

لقد علم الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم- ماذا أراد الله عزَّ وجل منهم من أجل
بقاء عزة هذا الدين -وذلك في قوله تعالى: (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ
بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ
مُّؤْمِنِينَ)⁽⁶⁾.

(1) الأنفال: 45.

(2) قطب، سيد: في ظلال القرآن. مج3، (مرجع سابق)، ص1528.

(3) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. مج4، ج8، بتصرف، (مرجع سابق)، ص23.

(4) الزمر: 10.

(5) النسفي، أبو البركات، عبد الله بن أحمد: تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل. مج2، ج4، (د.

ط). دار الكتاب العربي. (د. ت)، ص52.

(6) التوبة: 14.

قال الإمام الشوكاني: معدداً فوائد هذه الآية الكريمة:

الأولى: تعذيب الله للكفار بأيدي المؤمنين بالقتل والأسر.

والثانية: إخراجهم، قتل بالأسر، وقيل بما نزل بهم من الذل والهوان.

والثالثة: نصر المسلمين عليهم وغلبتهم لهم.

والرابعة: أن الله يشفي بالقتال صدور قوم مؤمنين ممن لم يشهد القتال ولا حضره.

والخامسة: أنه سبحانه يُذهب بالقتال غيظ قلوب المؤمنين بسبب ما وقع من الكفار من

الأمر الجالية للغنيظ وحر ج الصدور⁽¹⁾.

ومن الشواهد الواضحة على تحقيق الطاعة المطلقة لدى الصحابة -رضوان الله

عليهم- ما قاله الصحابي: المقداد بن عمرو -رضي الله عنه- لرسول الله صلى الله عليه وسلم

-وقبل بدء معركة بدر تحديداً- يا رسول الله: امض لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول

لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن

اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فو الذي بعثك بالحق، لو سرت بنا إلى برك

الغمد⁽²⁾ لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه⁽³⁾.

إن العصيان والتمرد -وهو عكس الطاعة والتقيّد- يورث صاحبه الخسران المبين،

وكيف يكون ذلك والأعمار محدودة فضلاً على أن الأنفاس معدودة، ولهذا قال تعالى منكرأ

على من فرؤا من معركة الخندق قبل حدوثها: (قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ

إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا

(1) الشوكاني، محمد بن علي: فتح القدير. الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. مج2. (د. ط). بيروت: دار الفكر. (د. ت). ص341.

(2) برك الغمد، بكسر الغين المعجمة، وهو موضع وراء مكة بخمس ليال مماليي البحر، وقيل بلد باليمن.

انظر الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان. مج1، (د. ط). بيروت: دار صادر. (1376هـ - 1957م)، ص 399.

(3) ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية. مج2. ج3. (د. ط). بيروت: دار الفكر. (1402هـ - 1982م). ص262. بتصرف.

قَلِيلًا⁽¹⁾، أي أخبرهم أن فرارهم ذلك لا يؤخر آجالهم ولا يطول أعمارهم بل ربما كان ذلك سبباً في تعجيل أخذهم غرة⁽²⁾.

وما دام أجل الإنسان قد سُجِّل في كتاب، لقوله تعالى: (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ)⁽³⁾.

فما أخرج الأمة إذاً للنهوض قدماً نحو تحقيق المعالي، في ظل تكالب قوى الشرِّ عليها، وهذا يذكرنا بالحديث الذي يرويه ثوبان رضي الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ؟ قال بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل يا رسول الله: وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت"⁽⁴⁾.

وبالرغم من كل ما سبق الحديث عنه، بضرورة تربية النفوس على الطاعة وعدم الخذلان، لم يرغب الإسلام بملاقاة العدو ومصاولته - في بعض الأحيان - فعن أبي هريرة - رضي الله عنه -، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تمنوا لقاء العدو، فإذا لقيتموهم فاصبروا"⁽⁵⁾.

(1) الأحزاب: 16.

(2) ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم. مج3. (د.ط.). بيروت: دار المعرفة. (1388هـ - 1969م). ص473.

(3) الرعد: 38.

(4) السجستاني، أبو داود، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود. ج4. تحقيق: محيي الدين عبد الحميد. كتاب الملاحم. باب: تداعي الأمم على الإسلام. رقم الحديث: (4297). (د.ط.). بيروت: دار إحياء التراث العربي. (د.ت). ص111.

انظر: الألباني، محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الصحيحة. مج2. (د.ط.). رقم الحديث: (958). المكتب الإسلامي. (د.ت). ص559.

(5) مسلم: صحيح مسلم. كتاب الجهاد والسير. باب: كراهية تمنى العدو والأمر بالصبر عند اللقاء. رقم الحديث: (1741) ج3. (مرجع سابق). ص1362.

قال الإمام النووي: إنما نهى عن تمني لقاء العدو لما فيه من صورة الإعجاب والانتكال على النفس والثوق بالقوة، ولأنه يتضمن قلة الاهتمام بالعدو، وهذا يخالف الاحتياط والحزم⁽¹⁾.

أما إذا خلت النفوس من إعجابها بنفسها، وجعلت توكلها المطلق على بارئها، مع إعداد العدة لأعدائها؛ كان النصر حليفها.

وفي كل حقبة زمنية نرى من يحمل لواء هذا الدين، ماضياً للبناء والعمل، مهما كان ذلك جلاً، نافياً عن نفسه صفة الخمول والكسل، مصطحباً في ذلك دوام ذكره الله واعتماده عليه سبحانه.

المبحث الرابع

سياسة القرآن الكريم في غرس العقيدة في قلوب المؤمنين

لقد وعد الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين، بالاستخلاف في الأرض، وأن يمكن لهم دينهم، وأن يبذل خوفهم أمناً، إذا حققوا الشروط المطلوبة لذلك، وفي مقدمتها، وجود الإيمان في النفوس، ثم ترجمة هذا الإيمان إلى أعمال صالحة، وصولاً إلى تحقيق معنى العبودية لله سبحانه، ومحاربة الشرك الذي يتنافى والعبودية، يقول الله تعالى: (وَعَدُّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا)⁽²⁾.

(1) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف: صحيح مسلم بشرح النووي. مج6. ج12. كتاب الجهاد والسير. باب: كراهية تمني العدو والأمر بالصبر عند اللقاء. ط2. بيروت: دار الفكر. (1392هـ-1972م). ص45-46.

(2) النور: 55.

جاء في معنى ليستخلفنهم: أي ليورثتهم أرض الكفار من العرب والعجم، فيجعلهم ملوكها وساستها وسكانها⁽¹⁾.

وحتى يمكّن الله تعالى للناس دينهم، "الأصل في الناس أن يكونوا واضحين في اختيارهم لدينهم، فإما إسلام حقيقي، وإما غير ذلك"⁽²⁾.

أما لوازم استمرار هذا التمكين، فهي إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعندها يكون الإسلام بمثابة النور الذي يضيء للمسلمين الطريق وهو في الوقت نفسه بمثابة الصخرة التي تتحطم عليها كل محاولات الأعداء البائسة، وحول هذا المعنى، يقول الدكتور أحمد نوفل: إن الإيمان وقوة العقيدة أعظم ركيزة لتحصين المسلمين ضد الحرب النفسية، فالمؤمن إيماناً كاملاً لا يخاف الوعيد ولا يرهبه التهديد⁽³⁾.

ولو نظرنا إلى واقع الأمة اليوم، لوجدنا الدعوة إلى الله تعالى فيها، قد أخذوا على عاتقهم تغيير الواقع إلى ما هو أفضل بما يتماشى مع منهج الله تعالى في الأرض.

لكنّ هذه الصحوّة الإسلامية - كما يقول الأستاذ محمد قطب- بحاجة لأن تتعرف على الطريق، لكي لا تتعثر، كما لا بد لها أن تعرف طبيعة الوحوش الضارية، لتعرف طبيعة المعركة معهم⁽⁴⁾.

إن الإنسان المسلم عندما يتوكل على ربّه عز وجل، ويستمدّ العون منه - سبحانه- يصبح الباطلُ أمامه صغيراً حقيراً مهما حاول أن ينتفش، وعلى المسلم أن يوقن، بأن الله تعالى

(1) البغوي، أبو محمد حسين بن مسعود الفراء: تفسير البغوي المسمّى معالم التنزيل. ج3. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. (1414هـ - 1993م). ص300.

(2) قطب، محمد: شبهات حول الإسلام. ط11. بيروت: دار الشروق. (1398هـ - 1978م) ص53.

(3) نوفل. أحمد: الحرب النفسية من منظور إسلامي. ج2. (د. ط). عمان: دار الفرقان. (1405هـ - 1985م). ص213.

(4) قطب، محمد: مفاهيم ينبغي أن تصحح. ط3. بيروت: دار الشروق. (1408هـ - 1988م). ص364.

سينصره ولو بعد حين، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب....." (1).

يقول الإمام ابن رجب في شرحه للحديث: أي فقد أعلمته بأني محاربٌ له، حيثُ كان محارباً لي بمعادة أوليائي، ثم قال: واعلم أن جميع المعاصي محاربةٌ لله عز وجل (2). وهل من طاقة مرجوةٌ للعاصي، كي يدفع بها عقاب الله تعالى ومحاربتة له؟

وحينما يوقن المسلم بنصر الله تعالى له، فإنه لا يأبه بكل ما حوله، وهذا يتضح جلياً من خلال سيرة الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم- وما أحرزوه من بطولات.

وعن معركة أحد "فقد تعباً رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال، وهو في سبعمائة رجل، وتعبت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل، ومعهم مائتا فارس، ثم يذكر كيف تبخر الصحابي أبو دجانة بين الصفين" (3).

والمسلم يعلم بأن ما يخالجُ قلبه من ارتعادٍ وارتعاش؛ إنما ذلك من الشيطان ولهذا قال تعالى: (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِيَّانَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (4).

أي "إن الشيطان يخوِّف أوليائه وهم الكافرون، فعلينا أن لا نخاف إلا الله سبحانه" (5)

فمن خاف الله تعالى في الدنيا أمن خوفه في الآخرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الحديث القدسي: "وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين، إذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة، وإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة" (6).

(1) البخاري: صحيح البخاري. كتاب الرقائق. باب: التواضع. رقم الحديث: (6502). (مرجع سابق). ص1247.

(2) ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم. ج2. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. وإبراهيم باجس. ط7. بيروت: مؤسسة الرسالة. (1419هـ-1998م). ص334-335.

(3) المولى، محمد أحمد جاد: قصص القرآن. تحقيق: جمال محمد علي الشقيري. (د. ط). عمان: مكتبة دار الثقافة. (1418هـ-1997م). ص285. بتصرف.

(4) آل عمران: 175.

(5) تعيلب، عبد المنعم أحمد: فتح الرحمن في تفسير القرآن. مج1. ط1. بيروت: دار السلام. (1416هـ-1995م). ص496. بتصرف.

(6) البستي، أبو حاتم محمد بن حيان بن أحمد: صحيح ابن حيان. ج2. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة. (1414هـ-1993م). ص406.

وانظر: الهيثمي، علي بن أبي بكر: مجمع الزوائد. ج10. (د. ط) القاهرة: دار الريان. بيروت: دار الكتاب العربي. (1407هـ). ص308.

إن القرآن الكريم يأمرنا بالاستزادة من الإيمان، حيث إنَّ الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، حتى إذا ما أخذ القلبُ من هذا الإيمان نصيبه الوافر؛ فإن النفس التي هي صاحبة هذا الإيمان تذوب أمامها كل المؤامرات، بل تزول كل المكائد التي تحاك ضدها.

يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا)⁽¹⁾.

"إن هذا النداء الإلهي يشمل المؤمنين حق الإيمان، وهم ممن آمنوا بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً، فناداهم ربهم -تعالى- بعنوان الإيمان الذي هو صفتهم، ناداهم ليأمرهم بالثبات على إيمانهم وبتقويته وزيادته، حتى يبلغوا أعلى مستوى به وهو اليقين"⁽²⁾.

فما أجمل أن يندفع المرء اندفاعاً نحو تحقيق الإيمان لما في ذلك من الراحة والسعادة في الدنيا، والنعيم المقيم في الآخرة، وفي ذلك يقول الله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)⁽³⁾.

قال الإمام النسفي: وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح، يعيش عيشاً طيباً إن كان موسراً، وإن كان معسراً فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله تعالى⁽⁴⁾.

وإذا آمن الإنسان بالله العظيم، وأيقن باليوم الآخر، وصدّق بما جاء به المرسلون؛ دفعه ذلك -لا محالة- إلى استرضاء ربه، والاستعداد للقائه، والاستقامة على صراطه⁽⁵⁾.

(1) النساء: 136.

(2) الجزائري، أبو بكر جابر: نداءات الرحمن لأهل الإيمان. ط2. مكتبة العلوم والحكم. المدينة المنورة. (1417هـ-1996م). ص71.

(3) النحل: 97.

(4) النسفي: تفسير النسفي. ج2. مج1. وبتصرف، (مرجع سابق). ص299.

(5) الغزالي، محمد: عقيدة المسلم. ط4. مصر: دار التوفيق النموذجية. (1404هـ-1984م) ص135.

ثم إن الإيمان -وبشكل خاص- باليوم الآخر وبما يحويه من فوز أو خسران، له أثر كبير في تصويب أنظار العباد إلى خالقهم، وإلى المال الذي سيؤولون إليه، إذاً الإيمان باليوم الآخر، له اشد الأثر في توجيه الإنسان والتزامه بالعمل الصالح وتقوى الله عز وجل⁽¹⁾. فلا بد من الالتزام بالعقيدة الصحيحة، التي تشد الإنسان بكليته إلى ربه عز وجل. "وهذه العقيدة هي التي تمثل القاعدة الأساسية لهذا الدين الذي لا يقوم بدونها"⁽²⁾.

لقد عني العلماء بتعريف الناس على ما هو صحيح من العقيدة، حيث إن من أهم خصائص الأمة الإسلامية، صفاء عقيدتها من الشرك وشمول تلك العقيدة لكل مظاهر الحياة، ثم ربانية منهجها وكمالها وبراعتها من النقص، ثم كونها وسطاً وشاهدة على الناس⁽³⁾.

"إن تاريخنا الإسلامي له جوانب القوة وجوانب الضعف وتفسيرها واضح، هو أنه كلما اقترب المسلمون من منهج الله في التطبيق، صاحبهم النصر والتمكن، وأنه كلما تركوا هذا النهج ضربتهم الأمم"⁽⁴⁾.

"وعلى أقل تقدير -وبعد غرس العقيدة في القلوب- لعل من أهم الآثار التربوية والنفسية لعقيدة التوحيد هو جعل صفات الله وأسمائه مهذبةً لجانب من جوانب الحياة النفسية للإنسان"⁽⁵⁾.

يقول الله تعالى: (فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى
وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)⁽⁶⁾.

فمن تمسك بهذه العقيدة كان الله تعالى معه، ومن كان معه الله فمن ذا الذي يغلبه، ومن لم يكن معه الله، فمن يرجوه، وبمن يثق، ومن ينصره من بعده؟!!

(1) انظر: الخطيب، محمد أحمد. ومحمد عوض الهزايمة: دراسات في العقيدة الإسلامية. ط1. عمان: دار عمار. (1410هـ-1990م). ص225.

(2) عزام، عبد الله: العقيدة وأثرها في بناء الجيل. ط3. عمان: مكتبة الأقصى. (1400هـ-1980م). ص10.

(3) انظر: جابر، حسين بن محسن بن علي: الطريق إلى جماعة المسلمين. ط2. الكويت: دار الدعوة. (1406هـ-1986م). ص51.

(4) الجندي، أنور: ترشيد الفكر الإسلامي. (د. ط). دار الاعتصام. (د. ت). ص60.

(5) النحلوي، عبد الرحمن: التربية بالآيات. ط1. بيروت: دار الفكر. (1409هـ-1989م). ص79.

(6) طه: 123-124.

الفصل الثاني

معنى التعبئة المعنوية ومنهج القرآن فيها

المبحث الأول

التعبئة في اللغة والاصطلاح وآثارها

المطلب الأول

مفهوم التعبئة المعنوية

اعتمد الإسلام في محاربة الأعداء على الخطط المحكمة والسريرة التامة.

"والخطة الجيدة تعتمد أساساً على روح القتال، فرجل مؤمن قوي شديد الإيمان، يستطيع أن يواجه عدداً من الرجال ضعاف الإيمان، ويستطيع أن ينتصر عليهم"⁽¹⁾.

يقول الله تعالى: (كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً
بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)⁽²⁾.

إن نجاح المقاتلين على أعدائهم، يعتمد اعتماداً مباشراً على إيمان الجند بأحقية الغرض الذي يدافعون من أجله عن قضيتهم، وهذا ما يدفعهم لتحقيق النصر على عدوهم، وإيقاع أكبر قدر من الخسائر في صفوفه.

"وقد كان المنهج الذي يسير عليه المسلمون واضحاً، فهم يدركون أن الصبر على الأذى له ثواب عظيم، وأن الموت في سبيل الله تعالى غاية عظيمة، صاحبها شهيد، له أسمى درجات الجنة"⁽³⁾.

ومع كل ذلك، فقد كانوا يأخذون بالأسباب، وقد تعلم المسلمون ذلك من النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك من خلال حيطته وإدراكه الواسع، قال الإمام الطبري: في ذكر الخبر عن فتح مكة المكرمة: "لقد أعلم الناس أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجد والتهيؤ"⁽⁴⁾.

(1) نوفل: الحرب النفسية من منظور إسلامي. (مرجع سابق). ص153.

(2) البقرة: 249.

(3) كحيل، عبد الوهاب: الحرب النفسية ضد الإسلام في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مكة. ط1. بيروت: مؤسسة عالم الكتب. (1406هـ-1986م)، ص322.

(4) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الطبري. ج3. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (د.ط.). مصر: دار المعارف. (1962هـ). ص47.

التعبئة في اللغة:

التعبئة: "من عبأ الأمر عبئاً: عبأه: هيأه.

وعبأت الجيش عبأً، وعبأتهم تعبئة.

وعبيتهم: أي رتبهم في مواضعهم وهيأتهم للحرب"⁽¹⁾.

"وعبأ المتاع: جعل بعضه فوق بعض" ."⁽²⁾.

"وعبأ النبت: أي طال"⁽³⁾.

أما التعبئة في الاصطلاح فهي:

"إدارة القتال في ميدان المعركة"⁽⁴⁾.

وهي: "دعوة الرجال لحمل السلاح في حالة دخول دولة في حالة حرب، وتكون جزئية

إذا دعيت طبقات معينة، وتكون عامة إذا دعيت رجالها جميعاً"⁽⁵⁾.

"وتأتي التعبئة المعنوية أو النفسية؛ لخلق حالة نفسية مؤهلة للقتال"⁽⁶⁾.

فهي إيجاد الروح العالية لدى الأفراد على جميع الأصعدة والمحاور، وعلى مدار

الأزمنة والدهور، لبقاء الأمة في أعلى درجات التأهب إذا ما حصل حاصل ضدها، أو مجرد

تفكير عدوِّها بها ، ولا شك أن هذه الروح ستكون في أسمى درجاتها عندما تكون في سبيل الله

تعالى.

(1) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب. مادة (عبأ). مج 1. ط 3. بيروت: دار صادر. (1414هـ-1994م). ص 118.

(2) إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط. ج 2. (د. ط.). بيروت: دار إحياء التراث. (د. ت.). ص 585.

(3) الجوهري، اسماعيل بن حماد: الصحاح "تاج اللغة وصحاح العربية". مج 1. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. (د. ط.). مصر: دار الكتاب العربي. (1376هـ - 1956م). ص 175.

(4) البيطار، فراس: الموسوعة السياسية والعسكرية. ج 1. (د. ط.). عمان: دار أسامة. (2003م). ص 53.

(5) عبد الله، أحمد عطية: القاموس السياسي. ط 1. مكتبة النهضة المصرية. (1941م). ص 110.

(6) الكيالي، عبد الوهاب: الموسوعة السياسية. ج 1. (د. ط.). بيروت: دار الهدى. (د. ت.). ص 367.

وهناك تعريف يسمى بالتعبئة العامة وهي:

"تهيئة وتعبئة جميع قوى الدولة ومواردها البشرية والمادية والفكرية والمعنوية، وإعدادها إعداداً صحيحاً لتحويلها من حالتها السلمية إلى حالة الحرب بالنسبة لمقتضيات الظروف"⁽¹⁾.

وبعبارة أخرى: "هي عملية استنهاض الهمم والطاقات وكافة الفعاليات والقوى لدى الأمة مادياً ومعنوياً للوقوف والتصدي"⁽²⁾.

المطلب الثاني

آثار التعبئة المعنوية

إن الآثار التي تترتب على وجود التعبئة المعنوية الحقيقية لا تكاد تحصر، ونستطيع هنا أن نعدّد بعض هذه الآثار الهامة، سيما لدى الأمة التي تزرح تحت سطوة الجلاذ: ومن هذه الآثار:

أولاً: العمل على استرداد ما سلب من الخيرات والثروات وهذا يقتضي وجود النفوس ذوات الهمم العالية، المشحونة بالإيمان.

ثانياً: تسهم هذه التعبئة، بتوحيد الصف الداخلي لدى الأمة، حيث إن الروح المعنوية للجماعة تتكون من الروح المعنوية لمجموع أفراد هذه الجماعة، وتشير الروح المعنوية إلى وظيفة الجماعة ووحدتها وتماسكها"⁽³⁾.

ثالثاً: العمل على تعزيز معاني العزة والكرامة لهذه الأمة، ورفع شأن هذا الدين وأتباعه. يقول الله تعالى: **﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾**⁽⁴⁾، والعزة هنا مستمدة من عزته تعالى، فهي عزة لا تهون ولا تهين، ولا تتحني ولا تلين"⁽⁵⁾.

رابعاً: أنها تعمل على صقل النفوس بالشجاعة والفداء، وإزالة ما فيها من تقهقر أو تراجع.

(1) أمين، محمد فتحي: قاموس المصطلحات العسكرية. (د. ط.). (د. ت). ص 112.

(2) مجلة الوعي. ع 232. (1427هـ-2006م). ص 18.

(3) العيسوي، عبد الرحمن: الحرب النفسية والدعائية "دفاعاً وهجوماً". ط 1. بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية. (1425هـ-2004م). ص 171.

(4) المنافقون: 8.

(5) انظر، قطب، سيد: في ظلال القرآن. مج 6. (مرجع سابق). ص 8580.

خامساً: بقاء النفوس المشحونة معنوياً، على استعداد تام لملاقاة أعدائها، بل سيبقى أعداؤها يحسبون لها ألف حساب، قال الله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)⁽¹⁾.

إن من تعاليم الإسلام، تدريب الرجال عسكرياً ليكونوا جنوداً متميزين في الجيش الإسلامي، وليصبح -هذا الجيش- قوة ضارية يدافع عن الإسلام، ويصون كرامة المسلمين، ويرسي قواعد السلام والعدل⁽²⁾.

سادساً: تذهب رواسب اليأس والقنوط من نفوس وقلوب المجتمع الإسلامي، حيث إن اليأس ليس من الإسلام في شيء، يقول الله تعالى: (وَلَا تَيَاسُؤْا مِّن رُّوحِ اللَّهِ)⁽³⁾.

سابعاً: بث روح العمل في نفوس الناس، -من ناحية اقتصادية- وعدم التواكل على الغير وإحياء مبدأ التنافس الشريف، وصولاً إلى الزيادة في الإنتاج.

يقول الله تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)⁽⁴⁾.

يقول الدكتور العيسوي: "زيادة الإنتاج تؤدي بدورها إلى ارتفاع الروح المعنوية"⁽⁵⁾.

هذا غيض من فيض، من الآثار المترتبة على تعبئة الأمة معنوياً، حيث إن في ذلك حفظ كيائها، وصونها من كيد أعدائها الطامعين.

(1) الأنفال: 60.

(2) خطاب، محمود شيت: بين العقيدة والقيادة. ط1. بيروت: دار الفكر. (1392هـ-1972م). ص113.

(3) يوسف: 87

(4) الملك: 15.

(5) العيسوي: الحرب النفسية والدعائية. (مرجع سابق). ص174.

المبحث الثاني

منهج القرآن الكريم في التعبئة المعنوية

لقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم، ليكون لنا نوراً يضيء لنا الطريق في هذه الحياة الدنيا.

قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا)⁽¹⁾.

وجاء القرآن الكريم ليكون دافعاً قوياً لتطهير النفوس من الشرك وتنقيتها من كل ما هو خبيث.

"فمن سلك مسلك محاسبة النفس وتركيتها، فقد ارتقى بروحه نحو الفلاح، ومن أهمل إصلاح نفسه واتبع هواه وشهوته فقد خاب وخسر"⁽²⁾.

والقرآن الكريم جاء ليقيم علاقةً متماسكةً بين الإنسان وخالقة وذلك من خلال تنفيذ أوامره، والتي تعود على الإنسان بالخير في الدنيا قبل الآخرة.

ومن هذا الخير العميم، تحصين المجتمع المسلم من كل المكائد التي تحاك ضده ، وتحقيق آماله بالغبلة وإحراز النصر، وبقائه حياً بقوته، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ)⁽³⁾.

(1) النساء: 174.

(2) كرزون، أحمد حسن: الهداية الربانية إلى الضوابط الأمنية. ط1 . بيروت: دار ابن حزم. (1420هـ—1999م). ص23.

(3) الأنفال: 24.

فالإسلام منذ نقطة البداية، يسعى في تنشئة وإعداد الإنسان الصالح الذي يتمتع بالشخصية الإسلامية، ذات البنية الموحدة، التي يتم بناؤها على أساس العبودية لله والتقوى⁽¹⁾، ومن هذا المنطلق، نرى بأن غاية التربية الروحية تكمن في إرضاء الله تعالى، والذي به تتحقق كل الأمنيات، وفي مقدمتها، بقاء الغلبة لأتباع هذا الدين.

إن الإستجابة لأوامر الله تعالى وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم ومعرفة ما ينبني على هذه الطاعة من فوز عظيم، تجعل الإنسان المسلم غير كاره لما يؤمر به مهما كلفه ذلك من ثمن، "للتحقق الاستقامة في حياة الإنسان وخضوعه للمنهج الإسلامي في جميع تصرفاته وتفصيلاته"⁽²⁾، وهذا يأتي من باب الترغيب.

أما إن تخلى المسلمون عن أوامر ربهم عز وجل، ورسوله صلى الله عليه وسلم والتي منها تهيئة النفوس لقتال الأعداء- فسوف يصيبها الذل والهوان وغلبة أعدائها عليها.

المطلب الأول

العقيدة العسكرية الإسلامية وسماتها

إن المتعمق في دراسة تاريخ الحرب والمتتبع لظروفها، يدرك أن هناك نظريتين قد سادتا الإنسان- في تلك الحروب- إلى يومنا هذا.

النظرية الأولى هي الكم، أي العدد الذي يُرصد لهذه الحرب وهم المشتركون في القتال لمواجهة العدو والتصدي له وما يتبع ذلك من سلاح وعتاد.

والنظرية الثانية هي الكيف، أي المقدرة التي يتمتع بها المقاتل، وما يرافقها من قوة في العقيدة وعلو في الهمة.

(1) حوامة، مصطفى محمود: التنشئة الاجتماعية في الإسلام. ط1. الأردن: دار الكندي. (1415هـ — 1994م). ص13-14.

(2) زيدان، محمد مصطفى: التوجيه الديني والتربوي والنفسى للشباب: مكتبة الإنجلو المصرية. (1992م) ص74.

والنظريتان مختلفتان، فالأولى تعتمد على الكم، بينما الأخرى تركز على الكم -إلى حد ما- وتعتني أساساً بالكيف.

وهذا ما كان واضحاً من خلال المعارك التي خاضها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صحابته -رضوان الله عليهم- ضد قوى الكفر، حيث إن المسلمين قد أدركوا هذه الحقيقة وذلك من خلال قوله تعالى: (كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)⁽¹⁾. "وهذه حقيقة تصدق على المؤمنين العاملين المخلصين المحتسبين، الذين يمضون على طريق الله تعالى وعلى منهجة الحق في ثبات لا يتزعزع وعزيمة مكينة صلبة لا تفتر"⁽²⁾ دون الالتفات إلى ما أعدّه الأعداء من مكائد جسام وأهوال عظام في كل زمان ومكان.

"وهكذا يثبت أن التعامل مع وعد الله الواقع الظاهر للقلوب، أصدق من التعامل مع الواقع الصغير الظاهر للعيون"⁽³⁾.

ومن الأدلة التي لا تحتاج إلى نقاش أو تأكيد، ما حصل في معركة بدر وهي أول معارك الإسلام، حيث إن المسلمين حاربوا قريشاً "وكانوا يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً"⁽⁴⁾

"بينما كانت قريش ما بين التسعمائة إلى الألف"⁽⁵⁾ لكن الله تعالى كتب للمسلمين النصر، وفي ذلك قال الله تعالى: (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)⁽⁶⁾.

"ولكن المسلمين اليوم، وبعد أن قويت بجانبهم دول كافرة، استطاعت الأخيرة -وللأسف- أن تهيمن على الأولى بترسانتها وعتادها، وما ذلك إلا بسبب غياب العقيدة العسكرية الإسلامية"⁽⁷⁾.

(1) البقرة: 249.

(2) عبد العزيز، أمير: التفسير الشامل للقرآن الكريم. مج1. ط1. فلسطين: دار السلام. (1420هـ-2000م). ص382.

(3) قطب. في ظلال القرآن. مج1. (مرجع سابق). ص263.

(4) انظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية. مج2. ج3. (د. ط). بيروت: دار الفكر. (1402هـ-1982م). ص268.

(5) (المرجع السابق). ص265.

(6) آل عمران: 123.

(7) خطاب: العسكرية العربية الإسلامية. (مرجع سابق). ص31.

غياب العقيدة العسكرية الإسلامية:

أما عن هذه العقيدة، فيقول اللواء الركن محمود خطاب: "بأنها عقيدة غائبة غياباً تاماً عن القوات المسلحة العربية والإسلامية، لا يعرفها العسكريون العرب المسلمون، ولا يقدرون قيمتها العظيمة بين العقائد العسكرية الشرقية والغربية المعروفة، ولا يعملون بها ويجهلون أثرها والمرء عدو ما جهل"⁽¹⁾.

أهم ما تميزت به عقيدة المسلمين:

لو نظرنا في صفحات التاريخ الإسلامي جيداً لعلمنا أن أهم ما تميز به الجند المسلمون هو الرغبة في نيل الشهادة في سبيل الله تعالى، حيث إن الاستشهاد كان غايتهم القصوى وأملهم المرتجى، وما المبعث في ذلك إلا إدراكهم الكامل لقوله تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أحياءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)⁽²⁾.

"وقد أخبر الله تعالى -في هذه الآية- عن الشهداء أنهم أحياء في الجنة يُرزقون، وفضلوا بالرزق في الجنة من وقت القتل، حتى كأن حياة الدنيا دائمة لهم"⁽³⁾.

وعن الوسطية وعدم التفريط في أمور القتال يقول اللواء خطاب:

"إن الدول العربية الإسلامية تستورد معظم أسلحتها ولا تصنعها، وفي الوقت نفسه لا إفراط في المقاتلين، لأنّ للروح البشرية قدسية خاصة في الإسلام ينبغي الحرص على سلامتها وأمنها"⁽⁴⁾.

ولكون هذه العقيدة وسطاً في كل شيء؛

(1) (المرجع السابق). ص 31.

(2) آل عمران: 169.

(3) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. مج2. ج4. (مرجع سابق). ص269. بتصريف.

(4) خطاب: العسكرية العربية الإسلامية. (مرجع سابق). ص34 - 36. بتصريف

يقول الله تعالى في ذلك: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)⁽¹⁾.

"ومن خلال هذه الآية الكريمة تتجلى ميزات هذه الأمة في كمال الشريعة والمنهاج، اللذين يغطيان واقع الحياة كلها، بما فيها قضايا السياسة والتربية والاقتصاد"⁽²⁾.

سمات العقيدة العسكرية الإسلامية⁽³⁾:

إن هذه العقيدة تفسر روح الفتوح الإسلامية العظيمة التي امتدت خلال سنوات طويلة، ذلك لأن شعار المسلمين كان: (قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ)⁽⁴⁾ فالمسلم حريص على أن يكون متقدماً في الصف مبتغياً من وراء ذلك نصراً مؤزراً أو ملاقةً لوجه ربه عز وجل دون الالتفات إلى شيء غير ذلك .

وفي ذلك يقول الله تعالى: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ)⁽⁵⁾.

ففي هذه الآية تعريف لسمات العقيدة العسكرية الإسلامية، بل للمعنويات العالية التي يجب أن يتحلى بها الجندي المسلم كي تكون عقيدته العسكرية صحيحة وسليمة.

وخلاصة القول، إن العمل على تحصيل إحدى الحسينيين من النصر أو الشهادة ثم عدم خشية العدو مهما بلغت قوته؛ هو من صميم سمات هذه العقيدة بعد جعل التوكل على الله في مقدمة كل ذلك.

(1) البقرة: 143.

(2) انظر: عيد العزيز. التفسير الشامل للقرآن الكريم. مج1، (مرجع سابق). ص205. بتصرف.

(3) انظر: خطاب: العسكرية العربية الإسلامية. (مرجع سابق). ص37-38. بتصرف.

(4) التوبة: 52.

(5) آل عمران: 173.

المطلب الثاني

بعض الأسباب الداعية للقتال في سبيل الله تعالى

لقد ثبت من خلال التاريخ المنشور على مر العصور- أن الحرب قامت فعلاً في الإسلام، وأن المسلمين حاربوا قريشاً ثم القبائل العربية المجاورة، ثم اليهود، ثم الروم والفرس، وكان المنطلق في ذلك هو قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)⁽¹⁾.

وحدة الصف الداخلي أساس كل عمل:

لقد بات واضحاً أن تعدد الأديان في الجزيرة العربية ووجود العصبية القبلية التي سادت تلك الأديان، وغير ذلك من الأمور التي زادت حدة المنازعات بين العرب؛ جعلت الإسلام يأخذ دوره ليعلن مبدأ الأخوة الإسلامية ويبشّر بالدعوة إلى التضامن والمحبة على أساس تلك الأخوة، ويبطل كل عصبية، وفي هذا يقول الله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً)⁽²⁾.

جاء في تفسير الظلال:

"إن هذه الأخوة المعتمنة بحبل الله تعالى، نعمة يمتن الله تعالى بها على الجماعة المسلمة الأولى، وهو هنا يذكرهم هذه النعمة وكيف كانوا في الجاهلية "أعداء" وما يمكن أن يجمع القلوب إلا أخوة في الله تعالى تصغر إلى جانبها الأحقاد التاريخية والأطماع الشخصية"⁽³⁾.

(1) التوبة: 123.

(2) آل عمران: 103.

(3) انظر: قطب: في ظلال القرآن. مج1. (مرجع سابق). ص442 - 443. بتصرف يسير.

إن القتال في سبيل الله قائم ما قامت الحياة، فإذا كان القتال يقوم بين الناس في وجوه كثيرة وسبل غير سبيل الله تعالى، فإنه في سبيل الله تعالى أوجب وأبر وأعدل وأكرم، وذلك لأنه انتصار للحق وتمكين له، وكيف لا؟ وقد أمر الله تعالى بالاجتماع على هذا القتال بقوله سبحانه.

(وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ

كَآفَّةً)⁽¹⁾. "أي قاتلوا المشركين مجتمعين غير مختلفين، ومؤتلفين غير متفرقين كما يقاتلكم المشركون جميعاً غير متفرقين، ثم إن على المسلمين أن يستعدوا للقاء عدوهم الظالم، فلا مندوحة إذن عن استعداد المسلمين في سائر أقطار الأرض للقاء الكافرين المعتدين؛ دفاعاً عن أنفسهم ودرءاً للمخاطر أن تحيق بدينهم وأمتهم"⁽²⁾. بمعنى أن الأسباب التي تدعو إلى القتال في سبيل الله تعالى هي:⁽³⁾

أولاً: لدفع العدوان لقوله تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)⁽⁴⁾.

"نعم، يجوز للمسلمين قتال الدولة التي تعتدي على غيرها من الدول والشعوب إذا لم تكن تلك الدولة الظالمة أو المعتدية في معاهدة سلمية مع المسلمين، ولكن أساس هذا القتال هو أن هذه الدولة هي كيان غير إسلامي يجب -بعد عرض الإسلام عليه ورفضه الدخول فيه - أن يدخل تحت الحكم الإسلامي طوعاً بالرضى، أو كرهاً بقوة السلاح ما دامت الدولة الإسلامية قادرة على ذلك في ضوء مصلحة الدعوة الإسلامية"⁽⁵⁾.

(1) التوبة: 36.

(2) عبد العزيز: التفسير الشامل للقرآن الكريم. مج 3. (مرجع سابق). ص 1479-1480. بتصريف.

(3) انظر: عبد الله، نصار: نظرية الحرب العادلة. (د.ط.). (1993م)، ص 21-29، بتصريف.

(4) البقرة: 190.

(5) انظر: هيكل، محمد خير: الجهاد والقتال في السياسة الشرعية. مج 1. ط 1. بيروت: دار البيارق. (1414 هـ -

1993م). ص 726. بتصريف يسير.

ثانياً: لإجبار الجهة الإسلامية المعتدية على الإذعان لمقتضيات العدل والسلام قال تعالى:
(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا
بَيْنَهُمَا)⁽¹⁾.

ثالثاً: ضد أصحاب العقائد الوثنية والملحدة، المكذبة لمضمون الدعوة الإسلامية لقوله تعالى:
(فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ)⁽²⁾.

رابعاً: ضد المرتدين والناكثين للعهود، حيث إن مجرد الارتداد عن الإسلام يمكن اعتباره
إفصاحاً عن نوايا عدوانية، يقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ
إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدِ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ
فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ)⁽³⁾.

بعض مبادئ الأخلاق الإسلامية:

1. أن يعتقد المسلم -جازماً- بأنه قد باع نفسه لله تعالى وأن الله تعالى قد اشترى
منه ذلك بالجنة، وفي هذا يقول الله عز وجل: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ
الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ
الْجَنَّةَ)⁽⁴⁾.

2. على المسلم أن يؤمن أن الله تعالى قد كتب على نفسه نصره عباده المؤمنين ولو بعد
حين، وذلك إما بالسيف والسنان، أو الحجة والبيان، قال الله تعالى: (إِنَّا لَنَنْصُرُ
رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ)⁽⁵⁾.

3. يجب أن يكون الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والجهاد في سبيل الله عز وجل،
أحباً إلى المسلم من كل شيء، لقوله تعالى (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ
وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا

(1) الحجرات: 9.

(2) محمد: 4.

(3) الفتح: 10.

(4) التوبة: 111.

(5) غافر: 51.

وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ⁽¹⁾.

4. التسليم بقضاء الله تعالى وقدره، وأنَّ أجلَّ المرء لا يتقدم لحظة ولا يتأخر عما هو
مقرر في علم الله تعالى، لقوله سبحانه: (فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا
يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)⁽²⁾. وسائل غرس الأخلاق
الإسلامية في النفوس:

لا بد للأخلاق العسكرية كي تُغرس في نفوس أصحابها من عدة أمور يتدرب عليها
الفرد المسلم حتى يحصل على ما يريد، ومن هذه الأخلاق:

1. إخلاص النية لله عز وجل، سواء في طلب العدو أو في غيره من
الأمور، قال الله تعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا
لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ
حُنْفَاءً)⁽³⁾.

2. الوفاء بالوعد، والصدق في العهد، قال الله تعالى (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ)⁽⁴⁾.

3. المبايعة على الموت في سبيل الله، قال الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ
يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ)⁽⁵⁾.

(1) التوبة: 24.

(2) النحل: 61.

(3) البينة: 5.

(4) الأحزاب: 23.

(5) الفتح: 10.

4. طرد الخوف والأوهام والحزن، قال الله تعالى: (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)⁽¹⁾.

5. مطاردة العدو ومتابعته حتى يتم النصر، قال الله تعالى: (وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ)⁽²⁾.

المطلب الثالث

وسائل تربية النفوس على الإرادة القوية

إن من أبرز تكريم الله تعالى للإنسان؛ أن انعم عليه بهذا الدين، وفي مقدمة ذلك القرآن الكريم، الذي قال الله تعالى عنه: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)⁽³⁾.

وعندما يعمل الإنسان المسلم بما جاء في القرآن، يتحصل على درجة عالية من الإيمان، حيث إنَّ الإيمان هو أقوى الأساليب وأمضاها في مواجهة جميع ما يعترض المسلم من مشاكل نفسية وغير نفسية في هذه الحياة الدنيا.

ولقد أراد الله تعالى أن نعبده، وأن نفعل كلَّ ما يحب ويرضى، حتى نفلح ونظفر بخيري الدنيا والآخرة، يقول الله تعالى: (وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)⁽⁴⁾. أي "اعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به، وافعلوا الخير، وتحروا ما هو خير وأصلح في كل ما تأتون وما تذرون، كنوافل الطاعات، وصلة الأرحام، ومكارم الأخلاق.

(1) آل عمران: 139.

(2) النساء: 104.

(3) الإسراء: 9.

(4) الحج: 77.

أما الفلاح؛ فهو الظفر وإدراك البغية، وذلك ضربان: دنيوي وأخروي، فالدنيوي،
الظفر بالسعادات التي يطيب بها الإنسان في الحياة الدنيا، وهو البقاء والغنى والعز والعلم،
والأخروي: بقاء بلا فناء، وغنى بلا فقر، وعز بلا ذل، وعلم بلا جهل⁽¹⁾.

"إن القرآن الكريم يوضح بنصوص قاطعة، طبيعة معركة الأمة المسلمة مع أعدائها،
وأهدافهم من حربها"⁽²⁾.

وفي مقدمة هذه الأهداف؛ إعلاء دين الله تعالى، وصرف أذى الأعداء عن الأمة
المسلمة، قال الله تعالى: (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ
وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ)⁽³⁾.

وإذا أردنا تحقيق الإرادة التي تجلب لنا النصر، علينا الوقوف على الأمور
التالية:

أولاً: التذكير بالإيمان:

"لقد بين الله تعالى لعباده حقيقة الإيمان، الذي يقبل الله به الأعمال، ويتحقق به وعدُّ الله
تعالى لهم، حيث إن من شروط الاستخلاف في الأرض؛ تحقيق الإسلام بكل معانيه، والالتزام
بشروطه، والابتعاد عن نواقضه"⁽⁴⁾.

وفي ذلك يقول الله تعالى: (وَعَدُّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ
الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا
يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا)⁽⁵⁾.

(1) انظر: البرسوي: تفسير روح البيان. مج6. (مرجع سابق). ص63. بتصرف.

(2) الخالدي، صلاح عبد الفتاح: المنهج الحركي في "ظلال القرآن". ط1. ج2. جدة: دار المنارة. (1406هـ—
1986م). ص59.

(3) التوبة: 14.

(4) الصلابي: تبصير المؤمنين بفقهِ النصر والتمكين في القرآن الكريم. (مرجع سابق). ص173.

(5) النور: 55.

ومادام الأمر يرتبط بعنصر الإيمان، فهو -أي الإيمان- يحتل مكانة عظمى في تحقيق هذا الاستخلاف، "وقد اختلف العلماء في تعريف الإيمان إلى عدة وجوه، أهمها قول جمهور أهل السنة"⁽¹⁾.

والإيمان هو: "الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، والعمل بالجوارح والأركان وجميع ما صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشرع والبيان كله حق"⁽²⁾، "فقول اللسان: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، يسمى إقراراً عنه، وتصديق القلب بما أقر به اللسان، يسمى إيماناً"⁽³⁾.

ولا شك بأن الإقرار باللسان والتصديق بالجنان، يتبعه عمل بالجوارح، وفي ذلك يقول الله تعالى: (أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ)⁽⁴⁾.

"وهذه الآية تدل على وجوب الجهاد في حالة استنفار الإمام للمسلمين، لأن الله تعالى نصَّ على أن تتأقلمهم عن الجهاد أمرٌ منكر، ولو لم يكن الجهاد واجباً، لما كان هذا التأقلم منكراً"⁽⁵⁾.

ومن أجل أن لا يتأقلم المؤمنون أمر الجهاد، لا بدّ من الإيمان، "ولقد أعدَّ الرسول صلى الله عليه وسلم جنده -أولاً- بالإيمان بالله عز وجل، والإيمان بقدرته تعالى التي لا تحدها حدود، وأنه القاهر فوق عباده، له الحكم والأمر، مالك الملك، يعطي الملك من يشاء من عباده

(1) الشريدة، محمد حافظ: مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية. (الكتاب الأول). ط1. (1404هـ-1984م). ص60.

(2) انظر: الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن سلامة: أصول العقيدة الإسلامية. شرح العلامة: علي بن أبي العز الأذري. اختصره عبد المنعم صالح العزي. ط1. قفيلية: مكتبة الإخاء. (1401هـ-1981م). ص106.

(3) القصري، أبو محمد عبد الجليل بن موسى: شعب الإيمان. تحقيق: أيمن صالح شعبان. وسيد أحمد إسماعيل. ط1. القاهرة: دار الحديث. (1417هـ-1996م). ج1. ص423.

(4) التوبة: 38.

(5) انظر: الرازي: التفسير الكبير. ج16. (مرجع سابق). ص59. بتصرف.

-سبحانه وتعالى-⁽¹⁾، وخالصة القول: إن الإرادة القوية توجد، حيث يوجد الإيمان الحقيقي، وهل هناك أمنية أعلى من أن يتحصل الإنسان على نعمة بقاء الإيمان ومعرفة ما أعده الله تعالى للمؤمنين؟!⁽²⁾.

ومن المعلوم أنّ النفوس التوّاقة لإحراز النصر، عليها أن تكون مليئة بالإيمان الذي يؤهلها للنصر على الأعداء، إلى أن تصبح الروح رخيصةً في سبيل الله تعالى، حيث إنّ الروح "هي طاقة من طاقات الإنسان، بل هي من أكبر طاقاته"⁽³⁾.

إن تكالب الأمم علينا اليوم ما هو إلاّ بسبب ثقافتنا عن الجهاد وحبنا للدنيا وتشبثنا بحطامها الزائل وكل ذلك مردهُ إلى ضعف الإيمان في النفوس مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه ثوبان -رضي الله عنه- "ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفنّ الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله: وما الوهن؟ قال: حبُّ الدنيا وكرهية الموت"⁽⁴⁾.

"إن حبَّ الحياة والخلود إلى الأرض الذي يؤدي إل تداعي الأمم على أمة الإسلام هو من التهلكة التي يجب علينا ألاّ نلقي أنفسنا بها، وأن نبذل في سبيل الخروج منها كلّ غالٍ ونفيس"⁽⁵⁾.

ثانياً: الصبر:

وهو خلق وصف الله تعالى به الدعاة فقال: **(وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا)**⁽⁶⁾.

(1) انظر: زايد، عبد اللطيف: اقتباس النظام العسكري في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. (د. ط.). (د. ت). ص210.

(2) انظر: الحمصي، محمد حسن: الإيمان بالله جلّ جلاله. (د. ط.). دمشق: دار الرشيد. (د. ت). ص121.

(3) عميرة، عبد الرحمن: منهج القرآن في تربية الأجيال. ط1. بيروت: دار الجيل. (1411هـ-1991م). ص78.

(4) السجستاني: سنن أبي داود. رقم الحديث: (4297)، ج4، (مرجع سابق)، ص 111، (وقد سبق الإشارة الى صحته).

(5) تکروري، نواف هایل: العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي. ط4. دمشق: دار الفكر. (1423هـ-2003م). ص92.

(6) السجده: 24.

ولقد أعدَّ الله تعالى للصابرين، الأجر الذي لا يعلمه إلا هو، فقال سبحانه: (**إِنَّمَا يُؤَفِّقُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**)⁽¹⁾.

ومعنى بغير حساب أي: بغير نهاية⁽²⁾، وذكر الإمام الماوردي في تفسير هذه الآية عدة وجوه منها: أي لا يعطونه مقدراً ولكن جزافاً، ويعطونه واسعاً بغير تضيق⁽³⁾.

"ولقد زادت مواضع ذكر الصبر في القرآن الكريم عن مائة، وما ذلك إلا لدوران كل الأخلاق عليه، فكلما كان هنالك خلقاً أو مسلماً طيباً، وجدنا ركيزته الصبر، فالشجاعة مثلاً هي صبرٌ عن داعي الفرار والهرب"⁽⁴⁾.

ولقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أمته بالصبر عند ملاقاته أعدائها، جاء ذلك في الحديث الذي رواه عبد الله بن أبي أوفى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "وإذا لقيتموهم فاصبروا"⁽⁵⁾. ولقد واجه النبي صلى الله عليه وسلم صنوف الأذى البدني والنفسي والمالي والاجتماعي وغيره، واستطاع عليه الصلاة والسلام التغلب على كل ذلك، وذلك بالصبر الذي أمره الله تعالى به إبان العهد المكي، لأنه عهد البلاء والضعف، وفي ذلك قال الله تعالى: (**فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**)⁽⁶⁾.

"والصبر أنصر لصاحبه من الرجال بلا عدة ولا عدد ومحلّه من الظفر كمحل الرأس في الجسد"⁽⁷⁾.

(1) الزمر: 10.

(2) الرازي: التفسير الكبير. ج26. (مرجع سابق). ص254. بتصرف.

(3) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البصري: النكت والعيون (تفسير الماوردي). راجعه وعلّق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. (د. ط.). بيروت: دار الكتب العلمية. (د. ت.). مج5. ص119.

(4) www.saaaid.net/bahoth/10 (بتصرف).

(5) البخاري: صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسير. باب: الصبر عند القتال. رقم الحديث (2833). (مرجع سابق). ص547.

(6) هود: 49.

(7) www.saaaid.net/bahoth/10 (مرجع سابق).

الصبر من الإيمان:

وإذا كان هذا الذي أشرنا إليه في شأن الصبر مع الدعاة ، بمعنى أن أهل الإيمان هم أشد الناس حاجة إلى هذا الصبر؛ لأنهم يتعرضون للبلاء والأذى والفتن أكثر من تعرض غيرهم لتلك البلايا والمحن يقول الله تعالى: (أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)⁽¹⁾. وفي هذه الابتلاءات تربية للمؤمنين وصقل لمعادنهم وتمحيص لقلوبهم، فهم ينضجون بالمرح كما ينضج الطعام بالنار⁽²⁾.

من فضائل الصبر:

1. جعل الله تعالى الصبر عوناً وعدة للمؤمنين وأمر بالاستعانة به، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ)⁽³⁾.
2. جعل الله معيته مقرونة بالصابرين، قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)⁽⁴⁾.
3. إن جزاء الصبر ومآله الجنة -هذا في الآخرة- أما في الحياة الدنيا، فجزاؤه اقترب الفرج والنصر المبين، قال الله تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُّ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)⁽⁵⁾.
4. جعل الله تعالى النصر متعلقاً بالصبر والتقوى، قال سبحانه: (بَلَى إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا

(1) العنكبوت: 2-3.

(2) بيومي، محمد: قصص القرآن. ط1. المنصورة: مكتبة الإيمان. (1420هـ-1999م). ص227.

(3) البقرة: 153.

(4) البقرة: 153.

(5) البقرة: 214.

يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ
مُسَوِّمِينَ⁽¹⁾.

5. الصابرون يحبهم الله تعالى ، فقال سبحانه: (وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)⁽²⁾.
 6. أكرمَ الله تعالى عباده الصابرين بالفلاح، فقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)⁽³⁾.
 7. مضاعفة أجر الصابرين على غيره، قال الله تعالى: (أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ
أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ
السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)⁽⁴⁾.
 8. حَكَمَ اللهُ سبحانه وتعالى بالخسران التام على كل من لم يؤمن ويعمل الصالحات، ولم
يكن من أهل الحق والصبر، وخصَّصَ لذلك سورة كاملة اسمها سورة العصر، فقال
سبحانه وتعالى: (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا
بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)⁽⁵⁾.
- الأسباب التي تؤدي إلى الصبر:

1. "المعرفة بطبيعة الحياة الدنيا: إنَّ من عرف طبيعة الدنيا وما جبلت عليه من الكدر
والمشقة والعناء، هان عليه ما يبتلَى به فيها، لأنه وقع في أمرٍ يتوقَّعه، والشيء من
معدنه لا يستغرب" ⁽⁶⁾ يقول الله تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي
كَبَدٍ)⁽⁷⁾.

(1) آل عمران: 125.

(2) آل عمران: 146.

(3) آل عمران: 200.

(4) القصص: 54.

(5) العصر: 1-3.

(6) www.saaaid.net/bahoth (مرجع سابق)

(7) البلد: 4.

قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: أي في نصب، وقيل يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة، أي في قوة⁽¹⁾.

وجاء في تفسير العلامة القاسمي: أي في شدة، يكابد الأمور ويعالجها في أطواره كلها، من حمله إلى أن يستقر به القرار، إما في الجنة وإما في النار⁽²⁾.

2. معرفتك بأنك وما بيدك ملك الله سبحانه وتعالى، ومرجعك إليه، يقول الله تعالى:
(وَمَا بِكُمْ مِّنْ نُّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ)⁽³⁾.

3. "اليقين بحسن الجزاء عند الله تعالى: قال الله تعالى: (وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)⁽⁴⁾.

4. الثقة المطلقة بحصول الفرج، قال الله تعالى: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)⁽⁵⁾.

5. الاقتداء بأهل الصبر: إن التأمل في سير الصابرين يعطي الإنسان شحنة دافعة على الصبر، ومن هنا ندرك حرص القرآن المكي على ذكر صبر الأنبياء على ما لاقوه من أمهم.

وهذا ما صرح الله تعالى به في قوله: (وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)⁽⁶⁾.

(1) الخازن، علاء الدين علي بن محمد البغدادي: أبواب التأويل في معاني التنزيل. ج6. ضبطه وصححه: عبد السلام محمد علي شاهين. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. (1415هـ-1995م). ص430. بتصرف.

(2) القاسمي، جمال الدين محمد: محاسن التأويل. مج9. تحقيق: (أحمد بن علي. حمدي صبح). (د. ط.). القاهرة: دار الحديث. (1424هـ-2003م). ص403.

(3) النحل: 53.

(4) النحل: 96.

(5) الشرح: 5-6.

(6) هود: 120.

6. الإيمان بقدر الله تعالى: إن إيمان العبد بقدر الله تعالى النافذ واستسلامه له، أكبر عون على تجشم مصاعب المصائب، قال الله تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)⁽¹⁾ (2).

ولنعلم بأن الجزع والهلع والتبرم والضيق لا يرد من قدر الله شيئاً فلا بد من الصبر أول الأمر، لئلا يحرم العبد من المثوبة.

ثالثاً: الثبات:

إن من عوامل نجاح أي دعوة الثبات عليها، ومن أهم أنواع الثبات في حياة المسلمين، ثباتهم عند ملاقات أعدائهم، ولقد نهى الله تعالى عباده المؤمنين حين ملاقاتهم لأعدائهم من أن يولوهم الأدبار، فقال سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)⁽³⁾.

"والمعنى: يا أيها الذين آمنوا إذا واجهتم الذين كفروا "زحفاً" أي متدائنين متقاربين متواجهين؛ فلا تفروا عنهم إلا أن يكون ذلك مكيدة حرب، حيث تختارون موقعاً أحسن، أو تدبرون خطة أحكم، أو أن يكون ذلك انضماماً إلى فئةٍ أخرى من المسلمين أو إلى قواعد

(1) www.saaaid.net/bahoth (مرجع سابق)

(2) الحديد: 22-23.

(3) الأنفال: 15-16.

المسلمين، لتعاودوا القتال، وأن من تولى وأعطى دبره يوم الزحف، فقد استحق ذلك العقاب: غضباً من الله، ومأوى في جهنم⁽¹⁾.

ولا شك أن الإنسان المؤمن يثبت على المكاره بقدر درجة إيمانه وعلو همته. وهذا الإيمان الثابت في القلوب، والذي لا تزعه العواصف من مغريات الدنيا وشهواتها؛ يزن الجبال الشامخة، ويعلو على كل هابط دونها.

ولقد جاء من الشواهد النبوية ما يؤكد ضرورة الثبات أمام جحافل الأعداء، وعدم الانهزام أو الاستسلام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تمنوا لقاء العدو فإذا لقيتموهم فاصبروا"⁽²⁾.

"وقوله صلى الله عليه وسلم (وإذا لقيتموهم فاصبروا)، حث على الصبر في القتال وهو أكد أركانه، وقد جمع الله سبحانه آداب القتال في قوله تعالى⁽³⁾: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَذَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)⁽⁴⁾.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يشدز الهمم ويشعل الحماس وهو في ميدان المعركة، مؤكداً لصحابته -رضوان الله عليهم- ضرورة الإقبال لملاقاة الأعداء وما يترتب عليه من فضل عظيم، ومثوبة كبيرة، فكان مما قاله عليه الصلاة والسلام في معركة بدر مخاطباً صحابته -رضوان الله عليهم- في الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه:- "لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة" وقال: "قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض".

فقال عمير بن الحمام رضي الله عنه: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟

(1) قطب: في ظلال القرآن. مج3. (مرجع سابق)، ص1487.

(2) مسلم: صحيح مسلم. كتاب: الجهاد والسير. باب كراهية تمنى لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء رقم الحديث: (1741). ج3. (مرجع سابق). ص1362.

(3) النووي: صحيح مسلم بشرح النووي. كتاب الجهاد والسير. باب: كراهية تمنى لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء. مج6. ج13. (مرجع سابق). ص46.

(4) الأنفال: 45-47.

قال: نعم.

قال: بخ بخ.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما حملك على قولك بخ بخ؟

قال: والله يا رسول الله، إلا رجاء أن أكون من أهلها.

قال: فإنك من أهلها⁽¹⁾.

ولقد كان من الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم أجمعين-، من يظهر زهده في الدنيا ورغبته في الآخرة، وذلك من خلال طلبه للشهادة وتمنيه لها بدون أن يكون راغباً بالعودة إلى بيته.

فعن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- قال: "ما منا رجلٌ إلا يدعو ربّه صباحاً ومساءً أن يرزقه الشهادة، وأن لا يرده إلى بلده ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده، إن نعيم الدنيا ليس بنعيم، ورخاءها ليس برخاء، إنما النعيم والرخاء في الآخرة"⁽²⁾.

وسائل الثبات على الإسلام:

وإذا أردنا الثبات على الإسلام والعمل بمقتضاه لا بد لنا من⁽³⁾:

1. الإيمان بالله تعالى: إن من أهم سمات الإنسان المسلم، الثبات على المبدأ الذي يحمله، والصلابة في الحق مع عدم الرضى بإنقاص شيء منه، وفي مقدمة ذلك؛ الإيمان بالله تعالى "والذي يتضمن التوحيد له سبحانه، والوصف له بصفاته، ونفي النقائص عنه الدالة على حدوث من جازت عليه"⁽⁴⁾ أي الدالة على أن من وصف به مخلوق.

(1) مسلم: صحيح مسلم. كتاب الإمارة. باب: ثبوت الجنة للشهيد. ج3. رقم 1901. (مرجع سابق). ص1510. بتصرف.

(2) انظر: فرج، محمد: المدرسة العسكرية الإسلامية. ط2. دار الفكر العربي. (د.ت). ص62.

(3) www.basaernews.com

(4) الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد: الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول السديانات. دراسة وتحقيق: دغش بن شبيب العاجمي. ط1. الكويت: دار الإمام أحمد. (1421هـ - 2000م). ص120.

2. العمل بالكتاب والسنة، لأن الله تعالى لا يُضِلُّ من اتبع هديته ولجأ إلى حصنه المنيع، قال الله تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا)⁽¹⁾.

3. تدبر آيات الله تعالى ومعرفة مقاصدها، حيث إن التلاوة والتدبر لآيات الله تعالى من أعظم وسائل التثبيت، فمثلاً عندما نتلو الآية التي يقول الله تعالى فيها: (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)⁽²⁾. نعلم بأن نصره الله لا تكون إلا بطاعته سبحانه والاعتصام بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، بعد أن تكون النفوس قد علمت ما أراد الله تعالى منها.

4. ذكر الله عز وجل: إن ذكر الله تعالى والمداومة عليه، من أسباب الثبات الرئيسية، ولذلك أمر الله تعالى عباده المؤمنين بكثرة الذكر عند لقاء العدو فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)⁽³⁾.

وذكر الله تعالى عند لقاء العدو يؤدي وظائف شتى، إنه الاتصال بالقوة التي لا تغلب، والثقة المطلقة بالله تعالى الذي ينصر أوليائه، وهو في الوقت ذاته استحضار حقيقة المعركة وبواعثها وأهدافها⁽⁴⁾.

وهل هنالك من هدف أسمى من إعلاء كلمة الله تعالى في الأرض، وأن يكون الإنسان المسلم سبباً في تحقيق ذلك؟

(1) النساء: 66.

(2) النحل: 102.

(3) الأنفال: 45.

(4) www.basaernews.com (مرجع سابق).

فهي معركة الله تعالى لتقرير ألوهيته في الأرض، وطرد الطواغيت المغتصبة لهذه الألوهية، فهي ليست معركة للسيطرة على شيء ثمين، ولا للاستعلاء الشخصي أو القومي ولا لكسب مغنم أو تحقيق هدف، سوى لتكون كلمة الله هي العليا.

5. الدعاء: إن الدعاء بمثابة سلاح المؤمن الفعّال وسيفه البتار، وهو من أسباب الثبات القوية، وبخاصة عند ملاقاتة الشدائد والصعاب، يقول الله تعالى: (وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أقدامَنَا وَاَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)⁽¹⁾.

كما بين الله تعالى أن الدعاء كان سببا في إنزال الملائكة لتثبيت المؤمنين في معركة بدر، فقال تعالى: (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرِّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ)⁽²⁾.

6. الصبر على البلاء: إن الصبر على البلاء يعتبر وسيلة من وسائل الثبات في ميدان القتال، وهذا الصبر من أعظم العبادات التي تُستدفع بها الشرور ويُستجلب بها الفرج والحبور، قال الله تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)⁽³⁾.

7. التفاؤل بمستقبل الإسلام المشرق: إن التفاؤل هذا بأن العاقبة والمآل لعباد الله المتقين، وأن هذا الدين سيصل إلى ما وصل إليه الليل والنهار؛ يعين كثيراً على الثبات، قال الله

(1) آل عمران: 147.

(2) الأنفال: 12.

(3) البقرة: 155.

تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)⁽¹⁾.

وعن هذا التفاؤل روى ثوبان -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله زوى لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها وأعطاني الكنزين الأحمر والأبيض"⁽²⁾.

"قال العلماء: المراد بالكنزين؛ الذهب والفضة، والمراد كنزي كسرى وقيصر ملكي العراق والشام، وفيه إشارة أن ملك هذه الأمة يكون معظم امتداده في جهتي المشرق والمغرب وهكذا وقع"⁽³⁾.

8. دراسة السيرة النبوية وقصص الأولين: حيث إن هذا الجانب والتعرف على أصحاب البطولات فيه، يعطي الإنسان المسلم المقدر على الثبات وعدم الاضطراب أمام جحافل الأعداء، مهما بلغت درجة جبروتهم وعنادهم⁽⁴⁾، يقول الله عز وجل: (وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ)⁽⁵⁾.

9. ومن أسباب تحصيل الثبات، الشعور التام بأن طاعتنا لله عز وجل ولرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، طريق موصل للفوز العظيم في الدنيا قبل الآخرة، قال الله تعالى (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)⁽⁶⁾، أما مخالفة الأوامر - كما حصل في معركة أحد- ففيها الوقوع في الخطيئة، وأن هذه الخطيئة تورث صاحبها الفرار، وفي ذلك يقول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا

(1) الصف: 9.

(2) مسلم: صحيح مسلم. كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: هلاك هذه الأمة بعضها ببعض. رقم الحديث: (2889). ج4. (مرجع سابق). ص2215.

(3) النووي: صحيح مسلم بشرح النووي. كتاب الفتن وأشراط الساعة. مج 9. ج 18. (مرجع سابق). ص 13.

(4) انظر: www.basaernews.com/news.php

(5) هود: 120.

(6) الأحزاب: 71.

اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا
اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ⁽¹⁾.

"ولقد كان التولي نتيجة استدراج من الشيطان، ونتيجة خطأ أو معصية أورثت وهناً في القلب، وضعفاً في الإيمان أدى إلى التولي يوم الزحف، ومن فضل الله عليهم أن عفا عنهم، وكفاهم من العقوبة الجزع النفسي، والندم الداخلي العميق"⁽²⁾.

وهكذا يكون المسلم قد حصل على الثبات، وذلك بالأخذ بأسبابه، كي تكون هذه الأسباب له جسراً يصل بها إلى برِّ الأمان في تحقيق النصر على الظلم والطغيان.

رابعاً: العزم:

لقد أخبر الله تعالى عباده المؤمنين بأنه سينالهم بلايا وأكدار من المشركين والفجار، وما ذلك إلا بمثابة اختبار لهم، يختبر الله تعالى به عباده، وذلك لقوله تعالى: (لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)⁽⁴⁾.

يقول صاحب الظلال: إنها سنة العقائد والدعوات، لا بد من بلاء، ولا بد من أذى في الأموال والأنفس، ولا بد من صبر ومقاومة واعتزام⁽⁵⁾.

ولقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يتحمل الأذى وكل ما يلاقي من بلاء، تأسياً بمن كان قبله من الرسل العظام، الذين لم تهن عزيمتهم أو ينل أعداؤهم منهم نيلاً، فقال سبحانه وتعالى: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ

(1) آل عمران: 155.

(2) الغضبان، منير محمد: من معين التربية الإسلامية. ط2. الأردن: مكتبة المنار. (1402هـ-1982ن). ص86.

(3) العزم والعزيمة: عقد القلب على إمضاء الأمر. يقال: عزم الأمر وعزمت عليه واعتزمت عليه.

انظر: الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. (مرجع سابق). ص334.

(4) آل عمران: 186.

(5) قطب: في ظلال القرآن. مج1. (مرجع سابق). ص539.

الرُّسُلِ⁽¹⁾، أي على تكذيب قومهم لهم⁽²⁾، ولاشك بأن الإنسان المسلم بحاجة إلى أن يكون قوياً في عقيدته، وعزيمته، كي يستطيع دفع ما يستطيع دفعه من أذى غيره، وهذا بحاجة إلى عزم دائم، وإرادة قوية لا تتزعزع.

"والأجسام مطاوعة للإرادة، فتجد أحياناً إذا إرادة قوية وجسم ضعيف والعكس"⁽³⁾.

فالعزم -إذن- هو "اتجاه نفسي جازم ذو نسبة عالية من القدرة على التصدي للعقبات والصعوبات ومقارعتها"⁽⁴⁾.

ومن أراد أن يتصف بالعزم، لا بد له أن يحصل على التقوى التي هي أقوى من أية سلاح، "فقوة الجسد وصلاح انجازه لمهامه، إنما هو بصلاح النفس وقوتها وصحتها وتقواها مرتته"⁽⁵⁾.

ولقد كشف الله تعالى في قرآنه الكريم، حقيقة المرتابين الذين ران على قلوبهم الشك والنفاق، مما جعل أبصارهم تشخص من فرط الهلع والجزع؛ ذلك لأنهم بعيدون كل البعد عن العزم وتحقيق المراد، فقال سبحانه وتعالى عن هؤلاء: (فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مَّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَى لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوَّ صَدَقُوا اللَّهُ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ)⁽⁶⁾.

وفي قوله تعالى: (فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ) "أي جدّ الحال وحضر القتال"⁽⁷⁾.

(1) الأحقاف: 35.

(2) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. مج4. (مرجع سابق). ص172. بتصرف.

(3) الجسماني، عبد العلي: القرآن وعلم النفس. ط1. (1417هـ - 1997م). ص196.

(4) الميداني، عبد الرحمن حبنكة: الأخلاق الإسلامية وأسسها. ج1. ط5. دمشق: دار القلم. (1420هـ - 1999م). ص113.

(5) الجسماني: القرآن وعلم النفس: (مرجع سابق). ص196.

(6) محمد: 20-21.

(7) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. مج4. (مرجع سابق). ص178.

ولقد كان من ثمرات هذا الجد أنّ الصحابة -رضوان الله عليهم-، أصبحوا يتقنون بقوتهم وإن قلّ عتادها وعدتها، "واستطاع عليه الصلاة والسلام باهتمامه بهذا الجانب من الإعداد المعنوي أن يصل إلى درجة جعلت هؤلاء العرب قوةً خطيرةً انطلقت من كل اتجاه ترفع كلمة الله تعالى وتُعلي راية التوحيد، أجل لقد استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجعل من القلة كثرة، ومن الضعف قوة، ومن الفتیان الصغار قادة وأساتذة، ومن الأسلحة الهزيلة الخفيفة أسلحة مؤثرة ومحققة لأهداف حاملها الأبطال المجاهدين والغرّ الميامين"⁽¹⁾.

"إن العزم على تحقيق أمر من الأمور وعقد القلب على إمضائه، يعتبر من المبادئ الأساسية والعوامل المهمة من عوامل الانتصار النفسية، وقد حث الإسلام على هذه الظاهرة الخلقية التي تتبع من خلق علو الهمة وكمال العقل، وحبّب إلى المسلمين الكياسة وحذرهم من العجز"⁽²⁾، وبهذا يكون العازم على إمضاء الأمر قد هبأ نفسه تهيئةً كاملةً للمنازلة لقتال الأعداء، دون تردد أو تراجع.

أما من أراد لنفسه التخلف عن منازلة العدو واللقاء به، فقد جعل لنفسه نصيباً من كلام من قال: "من تهيّب عدوّه جهّز إلى نفسه شيئاً"⁽²⁾.

إن صاحب الإرادة القوية والعزم الصادق، يستطيع أن يتغلب على خصمه، وإن كان خصمه صاحب قوةٍ مادية أكبر، ثم لا بدّ لهذه الإرادة من مظاهر وبراهين.

يقول العقيد مصطفى الدباغ: إن مظاهر إرادة القتال كما تظهر على السلوك:

- الرغبة الأكيدة والعزيمة الصادقة للقتال.

- العناد والتصميم على القتال مهما عظمت التضحيات وكثرت العقبات.

(1) زايد: اقتباس النظام العسكري في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. (مرجع سابق). ص209.

(2) الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها. ج2. (مرجع سابق). ص571.

(2) انظر: الدميّطي، أبو زكريا احمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي. (المشهور بابن النحاس): مشاريع الأشواق إلى مصارع العشاق. ومثير الغرام إلى دار السلام. تحقيق: (إدريس محمد علي. محمد خالد اسطنبولي). ط3. بيروت: دار البشائر الإسلامية. (1423هـ-2002م). ص955.

- الاستمرار والقتال بحماس، والإصرار على تحقيق الهدف.
- الإقدام والمبادأة في أداء المهمات وتنفيذ الأوامر والواجبات.
- القدرة على التصدي لفعاليات العدو المتوقعة وغير المتوقعة.
- الثبات أمام الشدائد وتحمل عبء القتال فوق مستوى الطاقة الفعلية.
- التغلب على الخوف من المجهول والخطر الوشيك والاستخفاف بالموت.
- البطولة والشجاعة العسكرية -درجة التعقل والاتزان المكتسبة في مواجهة الخطر-.
- التضحية -من أجل الجماعة وفي سبيل الهدف-.
- الاستعداد والمبادرة مقابل الترقب والتوقع والانتظار.
- الروح الهجومية والأعمال التعرضية أثناء القتال.
- سرعة الاستجابة للمواقف المتغيرة⁽¹⁾.

ثم لا بد بعد هذا العزم الأكيد، والإرادة الصلبة؛ من التوكل المطلق على الله سبحانه وتعالى، ذلك لأن الله تعالى قال: (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)⁽²⁾.

خامساً: الحسم:

"لقد قامت أول مدرسة عسكرية في تاريخ الإسلام على تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فكما نظم القرآن الكريم كافة أمور الحياة ديناً ودنياً، فقد عالج أمور الحرب باعتبارها ظاهرة اجتماعية، ووضع خير المناهج والمبادئ لكل ما يتصل بها من حيث أهدافها

(1) الدباغ: المرجع في الحرب النفسية. (مرجع سابق). ص54.

(2) آل عمران: 159.

وقوانينها وآدابها، فلا عجب أن يظهر الرسول القائد صلى الله عليه وسلم في الأمور الحربية ما لا يتسامى إليه قادة الحروب الذين تعلموا فنونها واتخذوها صناعة⁽¹⁾.

"ولا شك بأن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فيها الكثير من مواقف الحسم"⁽²⁾ والسرعة في اتخاذ الأمر. ومن صور الحسم السريع التي كانت متمثلة في شخص النبي محمد عليه الصلاة والسلام، تلك التي جاءت بعد الإذن الإلهي بالهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، حيث إن قوى الكفر -في جزيرة العرب- قد أجمعت على القضاء عليه، وفي خضم ذلك، تنزل آيات الله تعالى على قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم لتكون له كالسلسيل الشافي، وفي ذلك يقول الله تعالى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ)⁽³⁾.

"وهنا تتجلى رجولة محمد صلى الله عليه وسلم وثبات أعصابه، وهنا يظهر نصر الله تعالى لأولياته حين فتح محمد صلى الله عليه وسلم باب بيته يشق صفوف من أرادوا قتله"⁽⁴⁾.

فكم هي السرعة مهمة، التي هي بعيدة عن الغوغائية وطيش الكلام، والمقرونة بالحكمة وحسم القرار، خاصة وأن معية الله تعالى موجودة، والأمر لا يحتمل التأخر.

ومع كل هذه الرعاية الربانية لأصحاب الحق وجنده، وبوجود من هم أعداء للحق وأنصاره، -إلى يوم الدين- وبالرغم من أن الحسم أمر مهم؛ -بالرغم من كل ذلك- لا مانع من أخذ الحيطة والحذر من أعداء الدين وغيرهم من ضعاف القلوب الذين باعوا ضمائرهم

(1) محفوظ، محمد جمال الدين: العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية. (د. ط.). (1405هـ - 1985م). ص 11. بتصرف.

(2) الحسم: قطع الشيء عن آخره.

انظر ابن فارس: معجم مقاييس اللغة. ج 2. (مرجع سابق). ص 57.

والحسم: إزالة أثر الشيء، يقال: قطعة فحسمه، أي زال مادته، وبه سمي السيف حساماً.

انظر: الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. (مرجع سابق). ص 118.

(3) الأنفال: 30.

(4) انظر: الطنطاوي، علي: رجال من التاريخ. ط 7. بيروت: مؤسسة الرسالة. (1402هـ - 1982م). ص 18. بتصرف.

واشتروا بها ثمناً بخساً دراهم معدودة، يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خذُوا حِذْرَكُمْ)⁽¹⁾.

"والحق أن جميع البلاء الذي أصاب أمتنا وحلَّ بديار الإسلام، كان وما يزال على أيدي هؤلاء الأسارى لشهواتهم من عبيد الدرهم والدينار، وعبيد المركز والجاه والسلطان، ممن رفضوا العبودية لله عز وجل، فصاروا عبيداً للعالمية وزينتها، فلما عرف العدو هؤلاء المرضى وأدرك ما يعبدون من الشهوات، عرض عليهم قسطاً وافراً منها، فأسأل لعابهم، فساومهم على أوطانهم وأهلهم وأعراضهم، فدفعوها أثمناً لما يطلبون من المراكز وزينة الدنيا، فاتخذ منهم عملاء وخونة وجواسيس، وفرض عليهم مناهج وشروطاً فأطاعوه، مقابل ما يضمن لهم من الهوى، وكانوا وبالاً على أمتهم ودماراً⁽²⁾ فلا مانع -إذاً- من الحذر من هؤلاء وأمثالهم في الوقت الذي يحسم فيه الأمر ويتخذ فيه القرار .

ومن الصور التي كانت من القادة العظام في موضوع الحسم السريع، وأخذ القرار، تلك التي جاءت عن طريق خالد بن الوليد رضي الله عنه من خلال إحدى المعارك التي خاضها.

ذكر الإمام ابن كثير أن خالد بن الوليد -رضي الله عنه- قد وجد الجيوش في معركة اليرموك متفرقة، فقام في الناس خطيباً وأمرهم بالاجتماع، ونهاهم عن التفرق والاختلاف، فاجتمع الناس، وقام خالد في الناس فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال: "إن هذا يوم من أيام الله تعالى، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي، أخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم، وإن هذا يومٌ له ما بعده، لو رددناهم اليوم إلى خندقهم فلا نزال نردّهم وإن هزمونا لا نفلح بعدها أبداً⁽³⁾."

فأراد -رضي الله عنه- وبهذه السرعة الحكيمة أن يوحد الصف الداخلي، وأن يذكرهم بضرورة إخلاص النية لله سبحانه، ثم بخطورة الموقف، وما يترتب عليه من نتائج، فكم هو القرار السريع الذي ينبني على التفكير السليم، ضروري لدى القائد المسلم.

(1) النساء: 71.

(2) ياسين، محمد نعيم: أثر الإسلام في تكوين الشخصية الجهادية للفرد والمجتمع. ط1. دار الأرقم. (1404هـ-1984م). ص10.

(3) ابن كثير: البداية والنهاية. مج7. ج7. (مرجع سابق). ص7. بتصرف.

ويذكر اللواء الركن محمود خطاب: أن المعارك التي خاضها خالد بن الوليد -رضي الله عنه- كانت تعرضية، إذ لم يتخذ في كل حياته العسكرية خطة دفاعية واحدة، فكان بحق قائداً تعرضياً مشبعاً بروح التعرض⁽¹⁾ ويظهر ذلك في اتخاذ قرار توزيع الإمارة والأدوار معاً.

ومن هذا المنطلق "لابد للقائد أن يُصدر قراراً صحيحاً وسريعاً ليبيّن خطته استناداً إلى قراره هذا، ويعمل بموجب تلك الخطة في إدارة رحى القتال⁽²⁾.

ولهذا يرى علماء النفس أن أهم صفات القيادة هي أن يكون القائد حازماً⁽³⁾.

(1) خطاب، محمود شيت: خالد بن الوليد المخزومي. ط4. بيروت: دار الفكر. (1398هـ-1978م). ص231. ومعنى التعرض: الهجوم على العدو لسحقه. ولا يتم الحصول على النصر إلا بالتعرض وحده. انظر: (المرجع السابق).

(2) خطاب، الرسول القائد: (مرجع سابق). ص300.

(3) الجسماني، عبد العلي: القرآن وعلم النفس. (مرجع سابق). ص196.

الإِنسان هو العنصر الحاسم:

يعتبر الإنسان هو المحرك الأول لكل نواحي الحرب، وبه تتعدّد الآمال بعد الاستعانة بالله سبحانه وتعالى.

"إن من أهم ما يقرره العلم العسكري في العصر الحديث، أن الإنسان هو العنصر الحاسم في بناء الكفاءة القتالية للقوات العسكرية، وفي قدرتها على أداء مهامها في السلم والحرب... ويعبّر عن هذا المعنى قول مشهور يعرفه العسكريون، يقولون فيه: ليست العبرة بالمدفع، ولكن بالرجال الذين وراء هذا المدفع"⁽¹⁾.

ولعل أخطر التحديات التي يواجهها المقاتل في المعركة هو "الخوف من الموت والذعر"⁽²⁾. وهذا الخوف مفطور عليه كل الناس يتفاوت بين إنسان وآخر، فالذي يعلم بأن الأجل محدودة، لقوله تعالى، (فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)⁽³⁾ ليس كالذي يعيش لدنياه يلهو ويلعب، فإذا فكّر في المنازلة يوماً تراه متردداً لا يعرف من الحسم إلا اسمه، فالحسم السريع يعتبر ركناً أساسياً من أركان الحرب.

سادساً: الشجاعة:

لا شك أنّ النفس البشرية -في الغالب- تميل إلى حُبّ البقاء، لكنّ صاحب العقيدة تراه يتطلع إلى ما هو أبقي وأدوم من كل ذلك، إنها الحياة الآخرة، (وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى)⁽⁴⁾.

وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تشير إلى حقيقة الحياة الدنيا وبهرجها الزائل، فقال الله تعالى: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ

(1) محفوظ، محمد جمال الدين: العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية. (مرجع سابق). ص 29.

(2) المرجع السابق. ص 51.

(3) النحل: 61.

(4) الأعلى: 17.

وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ
كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ
مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطًا مَا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ
وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا
مَتَاعٌ الْغُرُورِ⁽¹⁾.

وجاء في القرآن الكريم ما يبرهن طبيعة الصراع القائم ما بين الحق والباطل، وأن الحق لا بد أن ينتصر، فقال سبحانه وتعالى: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهَدَمْتُ صَوَامِعُ وَبِيْعُ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)⁽²⁾.

وعن نصره الله تعالى لعباده المؤمنين، قال الإمام البرسوي: "وإنما كلفهم النصر باستعمال السيوف والرماح، وسائر السلاح في مجاهدة الأعداء، ليصلوا بامتثال الأمر فيها إلى منافع دينية ودنيوية"⁽³⁾.

ولا شك أن المنافع المشار إليها هنا تكاد لا تحصر، وعلى رأسها حلول الأمان على مدار الزمان.

"ولقد كانت إرادة المسلمين للقتال وعدم انحرافهم عن هدفهم واندفاعهم إلى الموت دونما تردد لتحقيق هذا الهدف؛ هي التي كانت تحبط إرادة القتال لدى الخصم"⁽⁴⁾.

والإنسان قد ميّز بإرادته ووعيه ويقظته عن غيره من المخلوقات، فإذا غفل وتداعى وعطل إرادته وعاش أسير أهوائه وشهواته، هبط دون مستوى الحيوان⁽⁵⁾.

والفارق بين الإنسان والحيوان، هو أن الإنسان بما أوتي من طاقات كان مكلفاً، وأن الحيوان لنقصان طاقته لم يكلفه الله بشيء⁽⁶⁾.

(1) الحديد: 20.

(2) الحج: 40.

(3) البرسوي، اسماعيل حقي: تفسير روح البيان. مج 6. (د. ط.). (1926م). ص 40. بتصرف.

(4) نوفل: الحرب النفسية من منظور إسلامي. ج 2. (مرجع سابق). ص 202.

(5) شديد، محمد: منهج القرآن في التربية. (د. ط.). بيروت: مؤسسة الرسالة. (د. ت). ص 241-242.

(6) حوى، سعيد: الإسلام. ط 3. بيروت: دار الكتب العلمية. (1401هـ-1981م). ص 294.

والذي نريد قوله هنا: إِنَّ الْإِنْسَانَ الْمَسْلَمَ قَوِيٌّ بِعَقِيدَتِهِ صَلْبٌ بِفِكْرِهِ، ثابت بإرادته، ومع كل ذلك يعلم أنه في النهاية سيفنى لقوله تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ)⁽¹⁾، ولكن يريد أن يكون من الذين يحيون ويُرزقون؛ لأنه موقن بقول الله تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)⁽²⁾.

معنى الشجاعة:

إن الشجاعة عبارة عن ثبات القلب على عزمه فيما يتوجه إليه من يراد منه، وهو الأصل في اكتساب كل كمال، والفوز بكل مقام عدل⁽³⁾.

وحول هذا المعنى يقول العقيد مصطفى الدباغ:

ونحن إن أرسينا دعائم العقيدة الراسخة في نفس الجندي وعقله وفكره، نكون قد أقمنا في أعماق ذاته أعظم بناء معنوي، وأمتن سلاح ضد الباطل وأضاليله⁽⁴⁾.

وقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الخيرية التي تكمن في نفس كل مؤمن قوي يزود عن حياض هذا الدين، ويدافع عنه، فقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه أبو هريرة -رضي الله عنه-: "المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير"⁽⁵⁾.

والجبن ضد الشجاعة، ولا شك بأن الفرار والتولي هو من نتاج الجبن، وقد ذكر الإمام ابن كثير أنه استنبط من قوله تعالى: (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا

(1) الرحمن: 26.

(2) آل عمران: 169.

(3) الدمياطي، (المشهور بابن النحاس): مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق. (ومثير الغرام إلى دار السلام). (مرجع سابق). ص 953.

(4) الدباغ: المرجع في الحرب النفسية. (مرجع سابق). ص 295.

(5) مسلم: صحيح مسلم: كتاب القدر. باب: الأمر بالقوة وترك العجز. رقم الحديث: (2664). ج 4. (مرجع سابق). ص 2052.

نَفْسِكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَكْفَ بِأَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۗ وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا⁽¹⁾ وعلى وجه التحديد (لا تكلف إلا نفسك) "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مأموراً أن لا يفر من المشركين إذا واجهوه ولو كان وحده"⁽²⁾.

وعن التحذير من التولي يوم الزحف، روى أبو هريرة- رضي الله عنه-، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات"⁽³⁾.

وكان صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجبن حين ملاقاته لأعدائه، فعن زيد بن أرقم - رضي الله عنه- قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل والهزم وعذاب القبر"⁽⁴⁾.

والفرق بين العجز والكسل، أن الكسل ترك الشيء مع القدرة على الأخذ في عمله، والعجز هو عدم القدرة⁽⁵⁾.

وعن عمرو بن ميمون قال: كان سعد⁽⁶⁾ يعلم بنيته، هؤلاء الكلمات، كما يعلم الغلمان الكتابة ويقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ منهنّ ذُبر الصلاة: "اللهم إني

(1) النساء: 84.

(2) انظر: ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل: شمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه. تحقيق: مصطفى عبد الواحد (د.ط.). بيروت: دار المعرفة. (د.ت). ص110.

(3) البخاري: صحيح البخاري. كتاب الحدود. باب: رمي المحصنات. رقم الحديث: (6857). (مرجع سابق). ص1308.

(4) مسلم: صحيح مسلم. كتاب الذكر والدعاء والاستغفار والتوبة. باب: التعوذ من شر ما عمل وشر ما لم يعمل. رقم: (2722). ج4. (مرجع سابق). ص2088.

(5) العسقلاني، أحمد بن علي (المشهور بابن حجر): فتح الباري شرح صحيح البخاري. مج6. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ط.). بيروت: دار المعرفة. (د.ت). ص36.

(6) هو الصحابي: سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه-.

أعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن أُرذِلَ إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر"⁽¹⁾.

شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم وتحريضه على الجهاد:

"لقد كانت الشجاعة الشخصية للنبي صلى الله عليه وسلم بارزة للعيان في كل مواقفه التي خاضها"⁽²⁾.

ومن الأمثلة الدالة على شجاعته صلى الله عليه وسلم والتي كانت في معركة أُحد، فقد فرَّ أكثر أصحابه صلى الله عليه وسلم وهو ثابت في مقامه لم يبرح منه، ولم يبق معه إلا اثنا عشر، قُتل منهم سبعةٌ وبقي الخمسة⁽³⁾.

ولما كان الغد من يوم أُحد وذلك يوم الأحد لست عشرة ليلة خلت من شوال في السنة الثالثة للهجرة ، أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس يطلب العدو، وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مُرهَباً للعدو، وليبلغهم عن عدوهم⁽⁴⁾.

وفي معركة الخندق، أخذ النبي صلى الله عليه وسلم يحرض الصحابة -رضوان الله عليهم- على الجهاد؛ عن أنس -رضي الله عنه- أنه قال: "خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق، فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيدٌ يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النَّصَب والجوع قال:

اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

فقالوا مجيبين له:

(1) البخاري: صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسير. باب: ما يتعوذ من الجبن. رقم: (2822). (مرجع سابق).

ص545.

(2) خطاب: الرسول القائد. (مرجع سابق)، ص436.

(3) المرجع السابق.

(4) انظر: الطبري: تاريخ الطبري. ج2. بتصرف. (مرجع سابق). ص534.

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما حيينا أبداً⁽¹⁾.

أما في يوم حُنين، فقد ولّى الناسُ كلهم، وكانوا يومئذٍ اثني عشر ألفاً، وثبت صلى الله عليه وسلم في نحو من مائة من الصحابة، وهو راكب بغلته وهو يركض بها إلى نحو العدو، وهو ينوّه باسمه ويعلن بذلك قائلاً:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وما زال كذلك حتى نصره الله تعالى وأيده في مقامه ذلك، وما تراجع الناس إلا والأشلاء مجندلة بين يديه صلى الله عليه وسلم⁽²⁾.

وعن أنس -رضي الله عنه- قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وأشجع الناس، وأجود الناس، ولقد فزَعَ أهلُ المدينة، فكان النبي صلى الله عليه وسلم سبقهم على فرس، وقال: وجدناه بحرأ⁽³⁾"⁽⁴⁾.

وفي رواية للإمام مسلم، عن أنس -كذلك، رضي الله عنه- قال: "كان بالمدينة فزَعٌ، فاستعار النبي صلى الله عليه وسلم فرساً لأبي طلحة -رضي الله عنه- يقال له مندوب، فركبه فقال: "ما رأينا من فزع، وإن وجدنا لبحراً"⁽⁵⁾.

(1) البخاري: صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسير، باب: التحريض على الجهاد. رقم الحديث: (2834)، (مرجع سابق). ص 547.

(2) انظر: ابن كثير: شمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه. (مرجع سابق). ص 110.

(3) وجدناه بحرأ: أي واسع الجري.

انظر: العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري. كتاب الجهاد. باب: الشجاعة في الحرب والجبن. رقم: (2820). مج 6. (مرجع سابق). ص 35.

(4) البخاري: صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسير. باب: الشجاعة في الحرب والجبن. رقم: (2820). (مرجع سابق). ص 544.

(5) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الفضائل. باب: في شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم وتقدمه في الحرب. رقم الحديث: (2307). ج 4. (مرجع سابق). ص 1803.

صور من شجاعة الصحابة - رضوان الله عليهم -:

الصورة الأولى:

لقد تعلّم الصحابة - رضوان الله عليهم - الشجاعة وحبّ الشهادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن أنس - رضي الله عنه -؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ سيفاً يوم أحد، فقال: من يأخذ مني هذا؟ فبسطوا أيديهم، كلُّ إنسانٍ منهم يقول: أنا، أنا، قال: فمن يأخُذُه بحقه؟ قال: فأحجم القوم، فقال "سماك بن خرشة - أبو دجاجة -": أنا آخُذُه بحقه، قال: فأخذه ففلق به هام المشركين⁽¹⁾.

ما يستفاد من هذه الحادثة:

1. "ضرورة بث روح المنافسة بين صفوف المقاتلين، وذلك من جهة القائد الذي هو بمثابة الموجّه الأول لجنوده، وهذا يعمل على معرفة الأبطال منهم.

2. لقد امتحن الرسول صلى الله عليه وسلم صحابته - رضوان الله عليهم - في مجال الطمع بالحصول على تكريم خاص منه عليه الصلاة والسلام، فاستشرفت نفوسهم جميعاً لذلك، وانطلق كل واحد منهم يقول: أنا أنا. إذ كان عرضاً لعطاء خالٍ من مسؤولية مرافقة له، فرغب كل واحد منهم أن يكون هو الظافر به. وفي ذلك إشارة واضحة في حب الصحابة - رضوان الله عليهم - للحصول على شيء يربطهم به صلى الله عليه وسلم.

3. وعندما كانت مسؤولية الوفاء بالعهد أمراً عظيماً في نفوسهم، جعلتهم يتريثون في أخذه، وهذا يدل على ضرورة الوفاء بالوعد إذا قطعه صاحبه على نفسه⁽²⁾، يقول الله تعالى: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً)⁽³⁾.

(1) مسلم: صحيح مسلم. كتاب فضائل الصحابة. باب: من فضائل أبي دجاجة. سماك بن خرشة رضي الله عنه. رقم الحديث: (2470). ج. 4. (مرجع سابق). ص 1917.

(2) انظر: الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها. ج. 2. (مرجع سابق). ص 605. بتصرف يسير.

(3) الإسراء: 34.

الصورة الثانية:

ومن أروع قصص التضحية وبذل النفس في سبيل الله تعالى، هذه الحادثة التي جسدت كل معاني التفاني في سبيل إعلاء صرح هذا الدين، والتي كان الصحابي عبد الله بن رواحه - رضي الله عنه - صاحب البطولة فيها، يقول ابن الأثير: "لما تجهز الناس لغزوة مؤتة⁽¹⁾، وهم ثلاثة آلاف، ودّعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس، فلما ودّع عبد الله بن رواحه، بكى عبد الله، فقال له الناس، ما يبكيك؟ فقال: ما بي حب الدنيا، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية: (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا)⁽²⁾ فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود؟ فقال المسلمون: صحبتكم الله وردكم إلينا سالمين، فقال عبد الله:

لكنني أسأل الرحمن مغفرةً
أو طلعة بيدي حَرَّانٍ مجهزةً
حتى يقولوا إذا مروا على جسدي
وضربة ذات فرغٍ يقذف الكبدا
بحربة تُنفذُ الأحشاء والكبدا
أرشدك الله من غازٍ وقد رشداً

وبعد أن أخذ الراية عبد الله بن رواحة، تقدم، فتردد قليلاً ثم قال: يخاطب نفسه:

يا نفسُ إن لم تُقتلي تموتي
وما تمنيتيه فقد أعطيت
هذا جمأم الموت قد صليت
إن تفعلني فعلهما هُديت⁽³⁾

ومن المعلوم أن أهل البادية كانوا يتمتعون بشجاعة اجتياز المفازات ومقارعة خطوبها، ولهذا كان العرب يقولون: الشجاعة وقاية والجبن مقتلة⁽⁴⁾.

(1) قرية من قرى اللقاء في حدود الشام. وبها كانت تطبع السيوف. وحصلت هذه الغزوة سنة 8هـ.

انظر: الحموي، معجم البلدان. مج5. ص220. (مرجع سابق). انظر: ابن الجوزي. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. صفة الصفوة. حققه وعلق عليه: محمود فاخوري. ط2. بيروت: دار المعرفة. (1399هـ - 1979م). مج1. ص483.

(2) مريم: 71.

(3) الشيباني، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (المشهور بابن الأثير): الكامل في التاريخ. مج2. (د.ط.). بيروت: دار صادر. (1385هـ - 1965م). ص234-237. بتصرف.

(4) الفيضي، أبو البركات فخر الدين أحمد بن عبد الله. (المعروف بالقادري): ارشاد العباد إلى الغزو والجهاد. ط1. المطبعة العامرة. (1336هـ - 1917م). ص56.

كيفية إزالة الجبن من النفوس:

أولاً: العلم بأن صفة الجبن قد اتصف بها اليهود: إن من ظواهر جبن اليهود أنهم لا يقاتلون المسلمين مجتمعين إلا إذا كانوا في قرى محصنة، أو كانوا وراء جدر⁽¹⁾ فقال سبحانه وتعالى: (لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ)⁽²⁾. ومن هذه الآية الكريمة نعلم "بأن اليهود قد تملكهم الهلع، واستحوذ عليهم الخوف والفرع، فهم لا يجرون على مقاتلة المسلمين إلا في قرى تحيط بها الحصون والخنادق ويستترون في قتالهم وراء الأسوار والجدران، وذلك شأن الجبناء"⁽³⁾. وقد قال الله تعالى في المنافقين: (وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا)⁽⁴⁾ وما ذلك إلا بسبب تعلقهم في الدنيا وكراهيتهم للموت.

لكن الإنسان المسلم الذي يعلم تماماً أن الله تعالى وحده هو الذي بيده الموت والحياة، يكون أكثر ضبطاً لنفسه وسيطرة عليها، ثقةً منه بأنه لن يصيبه إلا ما كتب الله تعالى له. فسبحان من بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير.

ثانياً: يجب على الجبان أن يعالج الجبن، وذلك بإزالة علته وسببه. وعلة الجبن قد تكون جهلاً، ويزول الجهل بالتجربة، وقد تكون ضعفاً، والضعف يزول بارتكاب الفعل الذي يخاف منه الجبان مرة بعد أخرى حتى يصير ذلك له عادةً وطبعاً⁽⁵⁾.

(1) الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها. ج2. (مرجع سابق). ص607.

(2) الحشر:14.

(3) الجمال، محمد عبد المنعم: التفسير الفريد للقرآن المجيد. مج8. (د. ط.). (د. ت.). ص3084.

(4) الأحزاب: 13.

(5) الديمياطي، أبو زكريا أحمد بن إبراهيم الدمشقي (المشهور بابن النحاس): تهذيب كتاب مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق في فضائل الجهاد. هذبه وانتقاه: د. صلاح عبد الفتاح الخالدي. ط1. الأردن: دار النفائس. 1419هـ-1999م). ص431.

ومثال ذلك يكون لدى بعض من يتولى إمامة المسلمين في صلاتهم، أو القيام بإلقاء خطبة عليهم، وهذا الصنف من الناس، لربما تجبن نفسه، ويتلجلج لسانه في بداية الأمر - وما ذلك إلا لضعف قلبه بسبب مواجهته ما لم يتعوده.

ثالثاً: إن من أسباب إزالة الجبن من النفوس، والذي له علاقة بمصاولة أعداء الله عز وجل؛ تذكر المسلم ما أعدّه الله تعالى من جنان وأنهار للمؤمنين الصادقين الذين باعوا أنفسهم لخالقها عز وجل، يقول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَاً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)⁽¹⁾، وما ذلك إلا بمثابة المهر، "ومهر الجنة بذل النفس والمال لمالكهما الذي اشتراهما من المؤمنين"⁽²⁾.

رابعاً: على المسلم أن يعلم بأنه لا يمكن أن يدفع كراهةً أو أن ينال مكربة - بعد مشيئة الله تعالى - إلا بقوة القلب التي تقود إلى الشجاعة، "كما أن الإنسان لا يجلب عز الدارين إلا بزيادة الخطر، وركوب الأهوال، ومعاناة الموت في الأيام والليال"⁽³⁾.

خامساً: ينبغي أن يعلم الإنسان بأن الشجاع لا يموت إلا مرة واحدة، بينما الجبان يموت مرات ومرات، وهذا من شأنه أن يقود إلى البطولة والبسالة، يقول الله تعالى: (قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بَيوتِكُمْ لَ بَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ)⁽⁴⁾.

سادساً: التعرف على النفوس المليئة بالشجاعة وحب لقاء الله تعالى، ومن أمثلة ذلك: "ما قاله أبو بكر لخالد بن الوليد - رضي الله عنهما -: احرص على الموت توهب لك الحياة، والعرب تقول: الشجاع موقى والجبان ملقى"⁽⁵⁾.

(1) التوبة: 111.

(2) انظر: ابن القيم: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر: زاد المعاد في هدي خير العباد. مج 1. ج 2. (د. ط). بيروت: دار الكتب العلمية. (د. ت). ص 59. بتصرف يسير.

(3) الفيضي: إرشاد العباد إلى الغزو والجهاد. (مرجع سابق). ص 67.

(4) آل عمران: 154

(5) ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد: العقد الفريد. (د. ط). مصر: المطبعة العامرة. (1316هـ). ج 1. ص 28

سابعاً: إنّ على أولياء الأمور دوراً كبيراً في زرع بذور الجرأة والشجاعة في نفوس أولادهم، وإلا فإن الدلال المفرط سيؤول في النهاية إلى استئثار الولد بالنقص، ويسلب من نفسه عنصر الخشونة والشجاعة.

سابعاً: البشارة بالجنة:

إن من عناصر الإرادة القوية في القرآن الكريم البشارة بالجنة، يقول الله تعالى مطمئناً عباده المؤمنين الطائعين بالمنزلة الرفيعة التي سينالونها إن هم أحسنوا العمل: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا)⁽¹⁾.

"وكان الحق سبحانه وتعالى يقول: لا تحزنوا، فما دمتم تحبّون رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرحون في الدنيا لأنكم معه، فلا تخشوا مسألة وجودكم معه في الجنة، فالمرء مع من أحب"⁽²⁾.

ولا بد لنا من الإشارة إلى أن دخول الجنة يكون بفضل الله تعالى ورحمته وليس بالأعمال منفردة:

يقول الله تعالى: (وَنَزَعْنَا⁽³⁾ مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)⁽⁴⁾.

(1) النساء: 69.

(2) الشعراوي، محمد متولي: أوصاف أهل الجنة. (د.ط.). القاهرة: دار الروضة. (د.ت). ص 47.

(3) نزع الشيء: أي جذبه من مقره كنزع القوس عن كبده، ويستعمل ذلك في الأعراس، ومنه نزع العداوة والمحبة من القلب.

انظر: الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. (مرجع سابق). ص 487.

(4) الأعراف: 43.

ومعنى: وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا (أي لهذا الثواب) بأن أرشدنا وخلق لنا الهداية⁽¹⁾.

ومتابعة هدى الله؛ هي تصديق خبره من غير اعتراض شبهة تقدر في تصديقه، وامتثال أمره من غير اعتراض شهوة تمنع امتثاله، وعلى هذين الأصلين مدار الإيمان⁽²⁾.

يقول الأمام القرطبي:

فالجنة ومنازلها لا تتال إلا برحمته، فإذا دخلوها بأعمالهم فقد ورثوها برحمته ودخلوها برحمته، إذ أعمالهم رحمة منه لهم، وتفضل عليهم⁽³⁾.

ثم إن العمل الصالح في رأي أهل السنة، لا بد له في دخول الجنة من ميزان العدل وإيجاد تكافؤ الفرص بين جميع الناس، لكن لا بد أن ينضم إليه -أي العمل- رحمة الله وفضله، فإنه جعل الجنة جزاء العمل فضلاً منه ورحمة، وكافاً على القليل بالكثير فضلاً منه ورحمة، لأن ذلك مستحق عليه، وواجب للعباد وجوب الديون التي لا اختيار في أدائها، لأنه يستحيل عقلاً إيجاب شيء على الله تعالى⁽⁴⁾.

وعن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "سددوا وقاربوا واعلموا أن لن يدخل أحدكم عمله الجنة، وأن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل"⁽⁵⁾ ومعناه: اقصدوا السداد أي الصواب، ومعنى هذا الاستدراك أنه قد يفهم من النفي المذكور نفي فائدة العمل، فكأنه قيل بل له فائدة، وهو أن العمل علامة على وجود الرحمة التي تدخل العامل

(1) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج7. مج3. (مرجع سابق). ص208.

(2) ابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة. (د.ط). (د.ت). ج1. بيروت: دار الكتب العلمية. ص40.

(3) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج7. مج4. (مرجع سابق). ص208.

(4) الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ج8. (مرجع سابق). ص211.

(5) البخاري: صحيح البخاري. كتاب الرقاق. باب القصد والمداومة على العمل. رقم الحديث (6464). (مرجع سابق). ص1240.

الجنة، فاعملوا واقصدوا بعملكم الصواب في اتباع السنة من الإخلاص وغيره، ليقبل عملكم فينزل عليكم الرحمة⁽¹⁾.

وفي رواية للإمام مسلم، عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سَدُّوا قَارِبُوا وَأَبْشَرُوا، فَإِنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَعَلِمُوا أَنْ أَحَبَّ الْعَمَلُ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمَهُ وَإِنْ قَلَّ"⁽²⁾.

وفي ظاهر الحديثين السابقين: دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الجنة بطاعته وعمله الذي كان قد عمل في الدنيا.

أما الجمع بين الحديثين، وقوله تعالى: (أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)⁽³⁾ وغيرها من الآيات: "أَنَّ دُخُولَ الْجَنَّةِ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ، وَلَيْسَ بِالْعَمَلِ، وَأَنَّ الْعَمَلَ إِنَّمَا هُوَ سَبَبٌ فِي هَذِهِ الرَّحْمَةِ، ثُمَّ هُوَ سَبَبٌ لِنُفُوقِ الدَّرَجَاتِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ"⁽⁴⁾.

نعيم الجنة لا منتهى له:

كثيرة هي الآيات التي دللت على دوام الجنة من دون أن تنفى أو تبيد، منها قوله تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ)⁽⁵⁾.

(1) العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري. كتاب الرقاق. باب: القصد والمداومة على العمل. مج 11. (مرجع سابق). ص 297.

(2) مسلم: صحيح مسلم. كتاب صفات المنافقين وأحكامهم. باب: لن يدخل احد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى. رقم الحديث: (2818). ج 4. (مرجع سابق). ص 2171.

(3) الأعراف: 43.

(4) ابن الجميل، محمود: وصف الجنة والنار. ط 1. القاهرة: مكتبة الصفا. (1422هـ - 2002م). بتصرف يسير. ص 10.

(5) هود: 108.

"أي هم باقون في الجنة إلا ما شاء ربك من الزيادة على مدة السماوات والأرض، أي أعطاهم الله تعالى عطاءً دائماً غير مقطوع"⁽¹⁾.

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وصار أهل النار إلى النار، أتى بالموت حتى يُجعل بين الجنة والنار ثم يُذبح، ثم ينادي منادٍ: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم"⁽²⁾.

أما ما أعدّه الله سبحانه وتعالى لأهل الجنة، فقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)⁽³⁾.

"أي فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى الله له من النعيم المقيم واللذات التي لا يطلع على مثلها أحد، فلما أخفوا أعمالهم أخفى الله لهم من الثواب، جزاءً وفاقاً، فإن الجزاء من جنس العمل"⁽⁴⁾.

وعن الحصول على رضى الله سبحانه وتعالى: عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، يقولون لبيك ربنا وسعديك، فيقول هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك! فيقول: أنا أعطيتكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلُّ عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبداً"⁽⁵⁾. يقول الإمام ابن حجر معقلاً على هذا الحديث: "ذلك لأن رضاه سبحانه سبب كل فوز وسعادة، وكل من علم أن سيده

(1) انظر: عبد العزيز، التفسير الشامل للقرآن الكريم. مج3. (مرجع سابق). ص1703. بتصرف.

(2) مسلم، صحيح مسلم، رقم الحديث: (43). ج4. (مرجع سابق). ص2189.

(3) السجدة: 17.

(4) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. مج3. (مرجع سابق). ص460. بتصرف يسير.

(5) البخاري: صحيح البخاري. كتاب الرقاق. باب: صفة الجنة والنار. رقم الحديث: (6549). (مرجع سابق) ص22.

راض عنه، كان أقر لعينه وأطيب لقلبه من كل نعيم لما في ذلك من التعظيم والتكريم، وفي هذا الحديث أن النعيم الذي حصل لأهل الجنة لا مزيد عليه⁽¹⁾.

وفي نهاية الحديث عن الإرادة القوية وأصولها في القرآن الكريم، "توقن أن من مقدمة العوامل التي يترتب عليها نجاح الحروب، وتؤدي إلى كسب المعارك: روح القتال والتي تشمل إخلاص الجند وقوة قادتهم وإيمانهم بأحقية الغرض الذي يحاربون من أجله، فالعدو والسلاح لا يقومان مقام الشجاعة والإقدام والرغبة في إحراز النصر، أما توافر روح القتال فهي التي تجعل الفرد يقدم على الحرب بعزيمة الرجال وقوة الأبطال، والذي نقصده هنا بروح القتال؛ أي الروح المعنوية"⁽²⁾.

فكم من قوى مادية طاغية خالية من أي هدف، سوى هدف تحقيق الظلم وسفك الدماء البريئة، قد أحلت بأقوامها دار البوار، وفي المقابل، كم هي الروح المعنوية مهمّة والتي تصطبب كل معاني الإيمان بالله وحده، بأنه القاهر فوق عباده كلهم مهما علا شأنهم وبلغت درجة قوتهم، فقال تعالى: (وَهُوَ الْقَاهِرُ⁽³⁾ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ)⁽⁴⁾.

"أي: والله الظاهر فوق عباده، المذل المستعبد خلقه، العالي عليهم، ومن صفة كل قاهر شيئاً؛ أن يكون مستعلياً عليه"⁽⁵⁾.

وبمقتضى وجود هذا العلياء الرباني بأن جعل سبحانه وتعالى نفسه قاهراً لكل المتكبرين المتجبرين في الأرض، نعي جيداً أن ذلك كله يصب في مصلحة عباده المؤمنين المستضعفين، وهذا لا يمنع المؤمنين -في شتى أرجاء الأرض- من العمل على تحقيق عوامل القوة، بالإضافة إلى توافر الهدف الذي من أجله تندفع الرجال نحو تحقيق الآمال، وهل من أمل

(1) العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري. كتاب الرقاق. باب: صفة الجنة والنار. مج11. (مرجع سابق). ص422.

(2) نوفل: الحرب النفسية من منظور إسلامي. ج2. (مرجع سابق). ص153.

(3) القهر: الغلبة والتذليل معاً، ويستعمل في كل واحد منهما.

انظر: الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. (مرجع سابق). ص414.

(4) الأنعام: 18.

(5) الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن. مج11. ص288. (مرجع سابق). بتصرف.

أعظم من أن يموت المؤمن شهيداً في سبيل الله تعالى، حتى يكون من أهل جنة الله سبحانه،
التي أعدّها الله لعباده الصالحين؟

وهذا كله لا يمكن أن يأتي إلا بالعمل على توفير الإرادة القوية وأصولها، المنبثقة من
القرآن الكريم.

وخلاصة القول: أن المداومة في التذكير بالإيمان، والدوام على الصبر، والقيام على
الثبات، وإيجاد النية في تحقيق العزم في كل الأمور التي يرضى الله سبحانه عنها، والتهيئة
لتحصيل الحسم السريع، والبقاء على الشجاعة والإقدام، بالإضافة إلى العلم بما جاء في القرآن
الكريم والسنة المطهرة عن البشارة بالجنة ونعيمها؛ كل ذلك من شأنه أن يحقق إرادة
المسلم التي لا تززعها أي قوة في الأرض مهما بلغت ذروتها، أو علت عروشها.

(وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ)⁽¹⁾.

المبحث الثالث

منهج القرآن الكريم في صناعة الأمة

"إن هذا القرآن هو كتاب هذه الأمة، هو روحها وباعثها، هو قوامها وكيانها، هو
حارسها وراعيها، هو بيانها وترجمانها، وهو دستورها ومنهجها، وهو في النهاية المرجع الذي
نستمد منه الدعوة - كما يستمد منه الدعوة - وسائل العمل ومناهج الدعوة وزاد الطريق"⁽²⁾.

يقول الله تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ
أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ
أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)⁽³⁾.

(1) يوسف: 21.

(2) ياسين، عبد الله: التربية الإسلامية في ظل القرآن. ط1. عمان: دار الأرقم . بيروت: دار القبس. (1403هـ —
1983م)، ص3.

(3) الإسراء: 9.

ومعنى "التي هي أقوم"؛ أي الطريقة التي هي أعدل وأصوب"⁽¹⁾.

"وقالت فرقة: التي هي أقوم: لا إله إلا الله، والأجر الكبير معناه الجنة"⁽²⁾.

"والقرآن الكريم هو المصدر الرئيس في تربية الأمة وصناعة حضارتها، حيث إنه ما من نظرية تربوية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية إلا وانبعثت من عقيدة، عقيدة تحدّد نظرها في الكون والحياة والإنسان"⁽³⁾.

"ولهذا فقد عالج القرآن الكريم العقيدة الإنسانية، لأن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بغير عقيدة"⁽⁴⁾، "فإذا كانت للجماعة البشرية عقيدة دينية، فلا بد للعقيدة الدينية من شعائر، وليس بين هذه الشعائر ما هو خير للمعتقدين من شعائر الإسلام"⁽⁵⁾.

ولكن سيظل هنالك حاجز سميك بين قلوب الذين يتلونهم وبين القرآن نفسه، إن هم قرأوه ورتلوه كأنه مجرد تراتيل لا علاقة لها بواقعات الحياة المتجددة، التي تواجه هذا الخلق وهو الإنسان، وبوجه خاص المسمّاة بالمسلمين.

ولا شك بأن القرآن الكريم هو روح الحياة التي تنبض به وتسير بإرشاداته، وإلا فهي مجرد نمط عادي يتعامل معه الإنسان بدون أي شعور بلذة الحياة التي تشرق نوراً - فقط - بنور هذا القرآن الكريم.

يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا)⁽⁶⁾.

(1) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. مج5. ج10. (مرجع سابق). ص225. بتصرف.

(2) الثعالبي، سيدي عبد الرحمن بن محمد: الجواهر الحسان في تفسير القرآن. ج2. تحقيق: أبو محمد الغماري ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. (1416هـ-1996م). ص252.

(3) انظر: الغضبان: من معين التربية الإسلامية. (مرجع سابق). ص6.

(4) البناء، حسن: نظرات في القرآن. ط1. القاهرة: مكتبة الاعتصام. (1399هـ - 1979م). ص88. بتصرف.

(5) العقاد، محمود: موسوعة العقاد الإسلامية (القرآن والإنسان). مج4. (د.ط.). بيروت: دار الكتاب العربي. (1390هـ-1971م). ص175.

(6) النساء: 174.

بعض مظاهر المنهج القرآني في صناعة الأمة:

أولاً: من خلال فرضية الصلاة:

"ففي الصلاة، يقف الإنسان المسلم بين يدي الله تعالى خمس مرات في اليوم واللييلة؛ كي تبعث الروح له من جديد، ولتزيل عنه وساوس النفس والشيطان، قال الله تعالى: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)"⁽¹⁾.

يقول الإمام الرازي: والنهي هنا مطلق، وهو من وجوه، ذكر منها:

الأول: أن العبد إذا صلى يناجي ربه عز وجل، فيستحيل منه أن يترك عبادة الله ويدخل تحت طاعة الشيطان المطرود، لكن مرتكب الفحشاء والمنكر تحت طاعة الشيطان.

الثاني: إن من يباشر القاذورات كالكناس يكون له لباس نظيف، إذا لبسه لا يباشر معه القاذورات، وكلما كان ثوبه أرفع يكون امتناعه أكثر، كذلك العبد إذا صلى لبس لباس التقوى؛ لأنه واقف بين يدي الله، واضع يمينه على شماله، على هيئة من يقف بمرأى ملك ذي هيبة، إذن، من لبس هذا اللباس يستحيل منه مباشرة قاذورات الفحشاء⁽²⁾.

ثانياً: في الزكاة:

لقد فرض الله تعالى على عباده الزكاة فقال: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا)⁽³⁾، حيث إن فيها مصلحة للجماعة، وذلك بتقوية رباط الأخوة بين المسلمين، وتعمل على معالجة ظاهرة الفقر بينهم، بالإضافة إلى أن هذه الفريضة تنزع شعور الأثرة والإنفراد والأنايية من قلوب الأغنياء تجاه إخوانهم الفقراء.

(1) العنكبوت: 45.

(2) انظر: الرازي: التفسير الكبير. ج25. (مرجع سابق) . ص72-73. بتصرف.

(3) المزمّل: 20.

ثالثاً: في الصيام:

ولو نظرنا إلى فريضة الصيام وما تحمل من معانٍ سامية، لوجدنا في مقدمة ذلك؛ تربية النفوس وتنشئتها على تقوى الله سبحانه، وفي هذا يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)⁽¹⁾.

"ومعنى لعلكم تتقون: أي: تدخلون في زمرة المتقين، لأن الصوم شعارهم، وقيل: تجعلون بينكم وبين النار وقاية بترك المعاصي، فإن الصوم لإضعاف الشهوة"⁽²⁾.

رابعاً: في الحج:

أما بالنسبة لفريضة الحج، فقد قال الله تعالى فيها: (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّغْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ)⁽³⁾.

ومن هنا نعي كم تحمل هذه الفريضة من معانٍ عظيمة، من شأنها أن تحمل النفس على ما فطرت عليه من نقاء وصفاء.

خامساً: عناية القرآن بمصالح العباد:

إن القرآن الكريم وهو يصنع أمة الحق والإيمان، اهتم بالإنسان فصوّره فأحسن صورته، ووضع فيه ميولاً وصفات وغرائز، وجبله على أمور يحتاج إليها في حياته، لهذا وضع له من القوانين والمناهج ما يلبي احتياجاته، ويحقق مصالحه، يقول الله تعالى: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامشَوْا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)⁽⁴⁾.

(1) البقرة: 183.

(2) أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي: البحر المحيط. مج 2. ط 2. بيروت: دار الفكر. (1398هـ—1978م). ص 30.

(3) البقرة: 197.

(4) الملك: 14-15.

ومعنى ألا يعلم من خلق: أي ألا يعلم الخالق؟

وقيل معناه: ألا يعلم الله مخلوقه؟ والأول لقوله تعالى: (وَهُوَ اللَّطِيفُ

الْخَبِيرُ)⁽¹⁾.

سادساً: عناية القرآن الكريم بصناعة النفوس على التضحية والفداء:

لقد تكفل الإسلام بإقامة مجتمع يقوم على الحضارة، وأن يصنع لنفسه القوة والعزيمة؛ لتحقيق كل ما تحتاجه البشرية من الأمن والأمان، بعد محاولة أعداء البشرية من الكفار والمنافقين - للنيل من عباد الله الصالحين، وهذا لا بدّ له من (الانخلاع من الفردية، والانطواء تحت عمل منظم.. والتعاون على البر والتقوى)⁽²⁾.

يقول الله تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا

تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)⁽³⁾.

كما أن العمل على إحياء الجهاد وصناعة النفوس عليه؛ يعتبر السبيل الوحيد والكفيل في إحقاق الحق، وذلك بإيجاد أمة عزيزة كريمة، مرهوبة الجانب، وفي ذلك يقول الله تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ)⁽⁴⁾.

"وهذا أمرٌ من الله تعالى لنبيّه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أن يقاتلوا الكفار الظالمين الذين يصدون عن دين الله ويبغون في الأرض بغير الحق حتى لا يفتن مسلم عن دينه، فإذا شاع الحق والأمن من خلال الإسلام زالت كل بواعث الفتنة التي يُخشى معها على الناس من الانحراف عن دينهم"⁽⁵⁾، لذا خشي الأعداء من كل ما يمكن أن يحدث لصالح الإسلام، فبقوا يقظين متأهبين، وحول هذا المعنى يقول الأستاذ محمد السمان:

(1) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. مج 4. (مرجع سابق). ص 397.

(2) انظر: العفاني، سيد بن حسين: تثبيت أئمة المؤمنين بذكر مبشرات النصر والتمكين. ط 1. (1420هـ—2000م). ص 553.

(3) المائدة: 2.

(4) الأنفال: 39.

(5) عبد العزيز: التفسير الشامل للقرآن الكريم. مج 3. (مرجع سابق). ص 1404-1405. بتصرف.

"إن جبهة الأعداء ما كانت لتهدأ لحظة واحدة، ما دام للدعوة الإسلامية حركة تزحف، وما دام لأتباعها قلوب تنبض"⁽¹⁾ ولكن لا بد للوصول إلى هذه المرحلة وهي بقاء هيبة الإسلام في قلوب أعدائه؛ لا بد من الكفر -أولاً- بجميع قوى الطاغوت على وجه الأرض، ثم الإيمان بالله تعالى. يقول الله عز وجل: **(فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى)**⁽²⁾، "والطاغوت هو سائر ما يطغى، أما العروة الوثقى فهو الاعتقاد الحق أو السبب الموصل إلى رضا الله تعالى"⁽³⁾.

فالقرآن -إن- صنع أمة خالية من أي شائبة تشوب النفوس بتعظيمها لغير الله تعالى، أو العمل لغير وجهه سبحانه.

(1) السمان، محمد عبد الله: الإسلام والأمن الدولي. ط2. القاهرة: دار الكتب الحديثة. (1380هـ-1960م). ص211.

(2) البقرة: 256.

(3) الألويسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج3. (د.

ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي. (د.ت). ص13-14. بتصرف.

الفصل الثالث

الحرب النفسية من منظور قرآني

المبحث الأول

مفهوم الحرب النفسية

المطلب الأول

تعريف الحرب النفسية ووسائلها

"إن الهدف الحيوي من الحرب؛ هو تحطيم الطاقات المادية والمعنوية للعدو، فإذا انتصر جيش في ميدان الحرب، واستطاع هذا الجيش تحطيم طاقات خصمه المادية، فلا بدّ من تكملة حلقات هذا النصر بتحطيم الطاقات المعنوية للعدو، وفي ذلك يكون النصر كاملاً وعندها يكون الاستسلام"⁽¹⁾.

وبعد حديثنا عن التعبئة المعنوية وما يلزم ذلك من قدرات فائقة لتحصيل الفوز والغلبة على الأعداء، لا بد لنا من التعرف على ما يكمن وراء ذلك من تدابير من شأنها أن تساهم - وبوضوح - على إيجاد هذه التعبئة، ومن بين هذه التدابير ما يسمى بالحرب النفسية والتي تستخدم بدون أية ضوابط من جانب العدو، بينما يؤخذ بها من جهة الطرف الآخر ضمن حدود وضوابط مشروعة.

مصطلحات الحرب النفسية:

لقد تداول الباحثون في كتاباتهم مصطلحات كثيرة تعبر عن نفس ما ترمي إليه مقاصدهم من هذه الحرب، ولعلّ المصطلح الأشهر والأدق والأكثر تداولاً من بين المصطلحات هو مصطلح الحرب النفسية، ومن التسميات الأخرى لها: حرب الأعصاب، حرب المعنويات، حرب الأفكار، حرب الإرادات، حرب الدعاية، حرب الإشاعات، حرب الكلمة⁽²⁾ وغير ذلك.

(1) خطاب: بين العقيدة والقيادة. (مرجع سابق). ص108.

(2) انظر: نوفل، احمد: الحرب النفسية "الكتاب الأول". ط1 . عمان: دار الفرقان. (1405هـ-1985م). ص36.

بتصرف.

تعريف الحرب النفسية:

هي مجموعة الأعمال التي تستهدف التأثير على أفراد العدو بما في ذلك القادة السياسيين والأفراد غير المقاتلين بهدف خدمة أغراض مستخدمي هذا النوع من الحرب⁽¹⁾.

ومن الواضح أن الإعلام -في هذه الحرب- يلعب دوراً كبيراً في تحقيق الأهداف وفي مقدمتها التأثير على العقول والعواطف من خلال الدعاية وفنون الاتصال وأساليب الإقناع بأنواعها المختلفة.

والإعلام له نشأة مستقلة في كثير من الكليات والجامعات في العالم، وكلما كان خبير الحرب النفسية أكثر صلة بموضوع الإعلام والوسائل والأدوات المتبعة فيه، كان أقدر على ممارسة الحرب النفسية مع الخصوم في هذا الميدان.

ومما تمتاز به هذه الحرب "أنها بمثابة سلاح فعال وشديد التأثير في المعركة، وقد أجمع العلم العسكري وخبرة الحروب على أنه يساهم مساهمة كبيرة مع أعمال القتال وغيرها من أساليب الصراع في تحقيق الانتصار بسرعة، وبأقل الخسائر في الأرواح والمعدات"⁽²⁾.

وقبل البدء بالحديث عن وسائل الحرب النفسية الحديثة، نعرض بعض صور هذه الحرب في العهد المكي.

بعض صور الحرب النفسية ضد النبي صلى الله عليه وسلم في العهد المكي:

أولاً: حرب السخرية والاستهزاء

"لقد كانت هذه الفترة من فترات حياة الرسول عليه الصلاة والسلام من أشد ما عرف التاريخ الإنساني روعة في العصور جميعاً، فما كان صلى الله عليه وسلم والذين اتبعوه طلاب

(1) انظر: الهيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية. مج 1. ط 2. بيروت: المؤسسة العربية. (1986م). ص 767.

(2) محفوظ، النظرة الإسلامية في الحرب النفسية. رقم (1). (مرجع سابق). ص 15.

مال ولا جاه ولا حكم أو سلطان، إنما كانوا طلاب حق"⁽¹⁾ وفي مقدمة الحق هذا، نصره الدين والعقيدة.

ولما رأت قريش أن محمداً صلى الله عليه وسلم لا يصرفه عن دعوته هذا ولا ذلك، فكروا قمع هذه الدعوة⁽²⁾ وذلك بالصاق التهم الباطلة في شخصه عليه الصلاة والسلام.

وفي ذلك يقول الله تعالى: (وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ)⁽³⁾

واتهموه كذلك بالسحر والكذب، وفي ذلك يقول الله تعالى: (وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ)⁽⁴⁾.

هذا غيظ من فيض مما كان من قريش من السخرية والتكذيب في شخص النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

ثانياً: تشويه تعاليمه صلى الله عليه وسلم، وإثارة الشبهات من حوله:

وفي مقدمة ذلك بث الدعايات الكاذبة بهدف تشويه صورة الرسالة التي جاء بها من عند ربه عز وجل، وهذا لا ينقطع في أي زمان إلى يوم الدين، ضد من يحمل دعوة الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وفي هذا يقول الله تعالى حكاية عنهم: (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)⁽⁵⁾ "ولا شك بأن كل دعوة من الدعوات لا بد أن يبتلى أهلها -ولا مناص- من امتحان ذويها، تلك طبيعة الدعوة أن يسخر الله تعالى لها قوماً يؤمنون بها ويجاهدون من أجلها.. وأن يكفر بها آخرون ولا يدخرون جهداً في مناواتها"⁽⁶⁾.

(1) انظر: هيكمل، محمد حسين: حياة محمد صلى الله عليه وسلم. ط15. (1968م). ص164. بتصرف.

(2) المباركفوري، صفي الرحمن: الرحيق المختوم. (د.ط.). بيروت: دار إحياء التراث العربي. ص80. بتصرف.

(3) الحجر:6.

(4) ص:4.

(5) الفرقان:5.

(6) نوفل: الحرب النفسية من منظور إسلامي. الكتاب الثاني. (مرجع سابق). ص81.

يقول الله تعالى: (أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)⁽¹⁾ وفي ذلك تسلية وتطبيب لقلب كل من هو حامل للواء الحق بأن يثبت ولا يتزعزع، كيف لا؟ وقد قرر سبحانه في كتابه المجيد بأن العاقبة والمآل لعباده المتقين، فقال سبحانه: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)⁽²⁾.

ثالثاً: المساومات في سبيل التنازل عن العقيدة:

وهذه تعتبر من أخطر الوسائل النفسية وأخبثها، حيث إن الأعداء يريدون من ورائها سلخ أصحاب الحق عن دينهم والتنازل عنه، وفي ذلك يقول الله تعالى: (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيْدُهُنُوعًا)⁽³⁾.

والادّهان: عبارة عن الملاينة وترك الجد.

وقال بعضهم: المداهنة: بيع الدين بالدنيا فهي من السيئات، بينما المداراة: هي بيع الدنيا بالدين فهي من الحسنات.

ويقال الادّهان: الملاينة لمن لا ينبغي له ذلك وهو لا يناف المداراة⁽⁴⁾.

الحرب النفسية ضد المسلمين في العهد المدني:

أما في المدينة المنورة، فلم يكن معنى الهجرة -التي كانت من مكة إلى المدينة- هو التخلص من الفتنة والاستهزاء الذي كان قد حل بالمسلمين من قبل، بل استمر العداء للمسلمين مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية، خاصة من جهة من أظهر الإيمان وأخفى الكفر، وهؤلاء -لا شك- باقون ما بقيت السموات والأرض، أعاذنا الله تعالى من

(1) العنكبوت: 2-3.

(2) القصص: 83.

(3) القلم: 9.

(4) انظر: البرسوي: تفسير روح البيان. ج1. بتصرف. (مرجع سابق). ص109 - 110.

شروورهم، ورد كيدهم إلى نورهم، وفي هؤلاء يقول الله تعالى: (وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ)⁽¹⁾ بمعنى: أنهم ثبتوا واستمروا فيه ولم يتوبوا عنه، وفي ذلك إشارة إلى أنهم تمرّدوا في حرفة النفاق، وبلغوا إلى حيث لا تعلم أنت نفاقهم مع قوة خاطر ك وصفاء نفسك⁽²⁾.

"لقد جربت قریش منذ عشرة أعوام -حينما كان المسلمون تحت يديها- كل أساليب الإرهاب والتهديد وسياسة التجويع، وشنت عليهم حرباً نفسية مضنية مع دعاية واسعة منظمة، ثم لما هاجر المسلمون إلى المدينة صادرت أرضهم وديارهم وأموالهم إلى أن عاد الأمر إلى الإسلام وأهله في بضع سنوات"⁽³⁾ والله الحمد والمنة.

من وسائل الحرب النفسية الحديثة:

إن اختيار الوسيلة المناسبة وحسن استخدامها، من أهم الأشياء التي يجب مراعاتها في عملية توجيه الحرب النفسية، لأن الاختيار الموفق للوسيلة، يلعب دوراً مهماً وفعالاً في أداء الحملة النفسية لرسالتها على الوجه الأكمل⁽⁴⁾.

ومن أهم هذه الوسائل:

أولاً: الوسائل المسموعة والمرئية:

أ. الإذاعة.

ب. التلفزيون.

ت. السينما.

ث. الحاسوب.

(1) التوبة: 101.

(2) انظر: الرازي: التفسير الكبير. ج16. (مرجع سابق). ص173.

(3) المباركفوري، الرحيق المختوم. (مرجع سابق). ص176.

(4) كحيل: الحرب النفسية ضد الإسلام. (مرجع سابق). ص47.

ج. أشرطة الفيديو.

ح. أشرطة الكاسيت

خ. وكالات الأنباء

ثانياً: المواد المطبوعة:

أ. الكتب.

ب. الصحف والمجلات.

ت. النشرات.

ث. المناشير

ثالثاً: المواد المصوّرة والمرسومة:

أ. الملصقات واللافتات.

ب. الصور الفوتوغرافية.

ت. الكاريكاتير.

ث. الدعاية.

رابعاً: الشائعات.

والآن نعطي شرحاً موجزاً عن كل جانب مما سبق ذكره.

أولاً: من الوسائل المسموعة والمرئية:

أ. الإذاعة:

"تعتبر الإذاعة من أبرز وسائل الحرب النفسية، لتمييزها بسرعة النشر واتساع الاستخدام وسهولة الفهم، حيث لا تعتبر الأممية حائلاً دون ذلك⁽¹⁾ وحسب إحصائية قدمها باحثون في بلاد مختلفة، تبين "أن المستمع للراديو ينفق وقتاً أطول عما كان متوقفاً⁽²⁾.

(1) الدباغ: المرجع في الحرب النفسية. (مرجع سابق). ص187. بتصرف.

(2) بدر، أحمد: الإتصال بالجماهير بين الإعلام والتطويع والتممية. (د.ط). القاهرة: دار قباء. (1417 هـ - 1997م). ص60.

بالإضافة إلى ما سبق, يقول الدكتور أحمد نوفل: "ولعلّ للراديو بعض مزايا من حيث سهولة التشغيل وقلة التكاليف وبعد المدى"⁽¹⁾.

ب. التلفزيون:

ويمتاز التلفزيون بجاذبيته وقدرته التوجيهية، وبإشراكه أكثر من حاسة، مما يرسّخ المواضيع المطروحة"⁽²⁾.

"ويعتبر التلفزيون في نظر الكثيرين وسيلة تسلية وترفيه، بينما ينظر إليه البعض الآخر على أنه جهاز له إمكانيات إعلامية وسياسية وتعليمية واسعة، حيث يمكن أن يلعب دوراً خطيراً في حياة الأمة"⁽³⁾.

ت. السينما:

وهي من الوسائط الفعّالة في خلق رأي عام مؤيد من الطراز الأول، خاصة بعرضها أفلام الدعاية، وقد استخدم العدو الصهيوني هذه الوسيلة على نحو واسع⁽⁴⁾.

ث. الحاسوب:

ولعلّ هذا الجهاز من أخطر الأجهزة المتقدمة، وذلك إن لم يسخرّ لما هو مفيد، حيث إن في بعض أقسامه كلاماً لا يُعرف مصدره، وهذه بمثابة طريقة سهلة للأعداء كي يبتثوا من خلالها من سمومهم- ما يريدون، لزعزعة الصف الداخلي لدى المسلمين.

(1) نوفل: الحرب النفسية. "الكتاب الأول: (مرجع سابق). ص90.

(2) الدباغ: المرجع في الحرب النفسية. (مرجع سابق). ص188.

(3) بدر: الإتصال بالجماهير بين الإعلام والتطويع والتنمية. (مرجع سابق). ص79.

(4) الدباغ: المرجع في الحرب النفسية. (مرجع سابق). ص88.

ج. أشرطة الفيديو:

حيث إن باستطاعة بعض القائمين على تسجيل هذه الأشرطة تخصيصها لما هو سيء وضار لأخلاق شبابنا، ساعين من وراء ذلك هدم قيمهم الإنسانية بالإضافة إلى صرف أنظارهم عما يدبر لهم العدو.

ح. أشرطة الكاسيت:

ونظراً إلى قدرتها الفائقة للوصول إلى أي بيت أو مؤسسة، وذلك لصغر حجمها وانخفاض سعرها، فهي تساعد على تحقيق أهداف الأعداء التي منها دغدغة العواطف بالأغاني الماجنة، مما يساعد على هدم عناصر الرجولة في نفوس الشباب.

خ. وكالات الأنباء:

وهذه تلعب دورها من خلال نشرات الأخبار، حيث يتم توجيهها من خلال التحليلات والتقارير، مما يخدم الهدف الذي ترمي إليه. "والتحليل: هو العملية المكتملة عادة للخبر، ويحمل وجهة نظر المحلل كما يخضع لثقافته ولأهوائه وميوله، مما يضيف معنى جديداً، أو يوجه الرسالة باتجاه مطلوب مما يعتبر تلاعباً بالأصل"⁽¹⁾.

ثانياً: المواد المطبوعة:

أ. الكتب:

وهذه من المصادر المهمة جداً في محاولة تغيير الأفكار أو العمل على تشويشها، بالإضافة إلى سهولة الرجوع إليها.

(1) الدباغ، مصطفى: الإقناع فن أم حرب. ط1. عمان: دار الإسراء. (1997م). ص48.

ب. الصحف والمجلات:

"حيث إن من مزايا الصحافة؛ المرونة والفقورية وسهولة الوصول من حيث النشر والتوزيع إلى قطاع واسع، وعليه فإن ثمة شروط يجب أخذها بالاعتبار، منها أن تكون المواضيع الصحفية مرتبطة بقضايا الجماهير الهامة، فتعالجها بلغة تتناسب مع عقليتها وثقافتها، بالإضافة إلى التوازن، بحيث تغطي مواضيع الصحف والمجلات معظم اهتمامات الأفراد"⁽¹⁾.

كما لا بد في الاعتماد على التحليل من تسخير من هم أصحاب عقيدة سليمة، وكفاءة عالية، وأن يكونوا أصحاب صورة نقية غير قابلة للتشكيك أو الاتهام، مع ضرورة عدم التهويل في الأحداث، وهذا يرجع إلى ذات الإنسان الذي يريد تحليل الأخبار، على أن يكون متمتعاً بالاتزان ووزانة العقل وافتتاح القريحة، والصدق في القول. يقول الله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)**⁽²⁾.

ت. النشرات:

وهي التي تصدر عن هيئات مستقلة وتعالج موضوعاً واحداً معالجة وافية.

ث. المناشير:

"يستخدم المنشور في حالتها الهجوم والحرب، فهو إما أن يفرض قناعة معينة، وإما أن يزيل أثر قناعات سابقة"⁽³⁾.

(1) الدباغ: المرجع في الحرب النفسية. (مرجع سابق). ص 193-194. بتصرف.

(2) التوبة: 119.

(3) الدباغ: المرجع في الحرب النفسية. (مرجع سابق). ص 195. بتصرف.

ثالثاً: المواد المصوّرة والمرسومة:

أ. الملصقات واللافتات:

وهذه -في العادة- تستخدم لرفع أو إحياء الروح المعنوية لدى الأفراد، وميزتها أن صورتها تبقى عالقة في الأذهان لمدة طويلة نسبياً.

ب. الصور الفوتوغرافية:

وهذه لا شك تعمل على إثارة الجيوش، سيّما إذا أظهرت الخصم بصورة المعتدي الحاقق، أو أنها تعمل على زيادة الحماسة في الجيش عندما تعرض له صور الخصم وقد لحقت به الهزائم والمتاعب.

ت. الكاريكاتير السياسي:

"وهو أحد الفنون الخطية التي تستهدف النقد السياسي والاجتماعي وكثيراً ما يكون مضحكاً مبكياً في آن واحد"⁽¹⁾.

ث. الدعاية:

"الحرب النفسية والدعاية كلتاها قديمة قدم الجنس البشري، لكنهما، أخذتا في العصر الحديث طابع التخصص مما جعلهما تبرزان في الأضواء كموضوعين منفصلين"⁽²⁾.

أما بالنسبة للدعاية الصهيونية فهي "تعتمد على خطة دعائية منظمة، إذ أن العنف يشكل جزءاً لا يتجزأ من هذه الدعاية، وتركز الجهد لزراعة المعنويات بالقوات وافتقادها الثقة بالرؤساء والقادة وبالأسلحة، وإشاعة الانهزامية في الشعب وحضّه على الاستسلام"⁽³⁾.

(1) انظر: الكيالي: الموسوعة السياسية. ج5. (مرجع سابق). ص37. بتصرف.

(2) نوفل: الحرب النفسية. "الكتاب الأول". (مرجع سابق). ص83.

(3) النفوري، أمين: إستراتيجية الحرب ضد إسرائيل والعمل العربي الموحد. (د. ط.). (1970م). ص 120. بتصرف.

وللدعاية ثلاثة ألوان:

الأول: الدعاية البيضاء أو (الصريحة): "وهي نشاط الدعاية المعلن والصريح، ويعترف بها الجانب الذي يوجهها"⁽¹⁾.

الثاني: الدعاية الرمادية أو (غير المحددة): "وهي الدعاية الواضحة المصدر، ولكنها تخفي اتجاهاتها وتستهدف خدمة هدف دعائي محدد"⁽²⁾.

الثالث: الدعاية السوداء أو (المستترة): "وهي تلك التي لا يُعرف مصدرها، أي التي تحاول إخفاء مصدرها"⁽³⁾، "كما تستخدم الدعاية السوداء الوثائق المزيفة"⁽⁴⁾.

رابعاً: الإشاعة:

"وهي الخبر الذي ينتقل شفويًا وينتشر بهذه الطريقة في المجتمع"⁽⁵⁾، وهي "من أهم الأسلحة في أوقات الحروب -بصفة خاصة- لأنها تثير عواطف الجماهير وتعمل على بلبلة الأفكار"⁽⁶⁾.

وقد جعل الإسلام اللوم على المنافقين الذين يتظاهرون بالإسلام، كما لام ضعفاء المسلمين الذين كانوا يفشون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذيعونه قبل الوقوف على حقيقته، سواء كان ذلك في حالة الحرب أم في حالة السلام والأمن، فقال الله تعالى: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّأَوْا بِهٖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ

(1) محفوظ: النظرية الإسلامية في الحرب النفسية. (مرجع سابق). ص 17.

(2) المرجع السابق.

(3) بدر: الاتصال بالجماهير بين الإعلام والتطويع والتنمية. (مرجع سابق). ص 136.

(4) الدباغ: المرجع في الحرب النفسية. (مرجع سابق). ص 80. بتصريف.

(5) معتوق، فريدريك: معجم العلوم الاجتماعية. مراجعة وإشراف: محمد دبس. بيروت: دار الكتاب العربي (أكاديميا). ص 287.

(6) حسونة، خليل إبراهيم: والدكتور مروان حمدان الصالح. الحرب النفسية الحديثة. ط1. غزة: مطبعة ومكتبة الأمل.

(2004م). ص 111.

الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْأَفَضَّلَ اللهُ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا⁽¹⁾.

"وعلى ذلك، فإن الآية تدعو المسلمين إذا ما بلغ أحدهم خبرٌ، أن يرد ذلك إلى الرسول عليه الصلاة والسلام -على أن يتصرف بمثل ما يراه مناسباً- أو أن يُرد ذلك لأولي الأمر وهم العلماء أو الولاة والأمراء.

والسبب في رد هذا الخبر إلى الولاة والمسؤولين؛ لأن نشره قد يؤذي المسلمين ويخدم مخططات أعدائهم من حيث لا يشعرون⁽²⁾.

ولأهمية هذا الموضوع على المسلم -دائماً- أن يتسم بالروية والاعتزان، فلا يُطلق الخبر أو الإشاعة دون تثبت أو تحفظ، وإلا فيكون من النادمين، ولات حين مندم.

وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالتثبت من النبأ الذي يتلقونه سيما الذي يأتي من الفاسق لأنه مظنة الكذب، فقال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحِّحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)⁽³⁾.

جاء في تفسير الظلال:

"وحتى لا يشيع الشك بين الجماعة المسلمة في كل ما ينقله أفرادها من أنباء فيقع ما يشبه الشلل في معلوماتها، فالأصل في الجماعة المؤمنة أن يكون أفرادها موضع ثقتها، أما الشك المطلق في جميع المصادر فهو مخالف لأصل الثقة المفروضة بين الجماعة المؤمنة"⁽⁴⁾.

(1) النساء: 83.

(2) أبو فارس، محمد عبد القادر: السيرة النبوية. عمان: ط1. دار الفرقان. (1418هـ-1997م). ص359-360. يتصرف.

(3) الحجرات: 6.

(4) قطب: في ظلال القرآن. مج6. ص3341. (مرجع سابق). يتصرف.

إنّ على المسلم أن يكون فطناً صاحب عقل راجح، فإن وجد المصلحة في الكلام الذي يريد الحديث عنه فليقله، طالباً من وراء ذلك الأجر والثواب من الله تعالى، وإلا فالسكوت عنه أفضل.

ولهذا رُوِيَ أن أبا شريح العدوي -رضي الله عنه- قال: سمعتُ أذناي وأبصرت عيناي، حين تكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت" (1).

إن العمل على تناقل الأنباء ونثرها هنا وهناك، دون تروٍ أو حيطة فهو ليس من الإسلام في شيء، بل هو مما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم.

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع" (2).

كيف السبيل للتخلص من الإشاعة؟

قبل البدء بالإجابة على هذا السؤال، علينا أن نعلم بأن موضوع الإشاعة قديم، والمثال على ذلك "هو أن خبراً وصل أسماع المسلمين المهاجرين في الحبشة وهو: لقد أسلم أهل مكة، بيد أنهم لمجرد وصولهم إلى مشارف مكة فوجئوا بأن الخبر كاذب" (3).

لكنّ السبيل الأمثل للتخلص من الإشاعة هو:

أولاً: السير على منهج كتاب الله عز وجل حيث وردت آيات واضحة تشير إلى ضرورة التريث عند سماع الخبر، قال تعالى: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) (4)، وقال تعالى: (إِذْ تَلَقُونَهُ بِالْسَنَتِمْ وَتَقُولُونَ

(1) البخاري: صحيح البخاري. كتاب الأدب. باب. من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره. رقم الحديث (6019). (مرجع سابق). ص 1165.

(2) مسلم: صحيح مسلم. رقم الحديث (5). ج 1. (مرجع سابق). ص 10.

(3) عبيد، محمد عايش: تغريدة السيرة النبوية. (د. ط.). (د. ت.). مج 1. ج 1. ص 228 - 229. بتصرف.

(4) النساء: 83.

بأفواهِكُمْ ما لَيس لَكُمْ به علم وتَحسبونَه هِيناً
وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ⁽¹⁾.

كما أن على المسلم أن يظن خيراً عند سماع خبر عن مسلم آخر لقوله تعالى: (لولا
إذ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ
خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ)⁽²⁾ وقد رتب الله تعالى عقاباً لكل من
يعمل على إشاعة الفاحشة بين المؤمنين لقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَحِبُّونَ أَنْ
تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)⁽³⁾.

ثانياً: ومن السبل التي من شأنها أن تعمل على التخلص من الإشاعة، حفظ الأسرار وضرورة
عدم إشاعتها: فقد قال الحكماء قديماً: "صدرك أوسع لسرك"، كما أنهم قالوا: "سرك من
دمك"، يعنون أنه ربما كان في إفشائه سفك دمك⁽⁴⁾.

ثالثاً: تخصيص مواد لدراسة هذا الجانب ومراعاته، فهناك دراسة تقول: بأن الأشخاص
المتنبهين للإشاعة هم الأقل استعداداً لأن يكونوا ضحايا الإشاعة، وهذه حجة تدعم
إدخال دراسة تكون ضمن برامج المواد الاجتماعية التي تعطى في المدارس
والكليات⁽⁵⁾.

طرق الوقاية من الحرب النفسية في المجال العسكري خاصة:

1. الإيمان وقوة العقيدة، قال الله تعالى: (الَّذِينَ قَالُوا لَهُمْ
النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ
فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً
وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ
وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)⁽⁶⁾.

(1) النور: 15.

(2) النور: 12.

(3) النور: 19.

(4) انظر: ابن عبد ربه: العقد الفريد. مج 1. (مرجع سابق). ص 19.

(5) انظر: عويضة، كامل محمد: علم نفس الإشاعة. رقم (15) مراجعة: الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي. ط 1.

بيروت: دار الكتب العلمية. (1416 هـ - 1996 م). ص 57 - 58. بتصرف.

(6) آل عمران: 173.

2. الوعي والمعرفة بأهداف العدو وأساليبه في الحرب النفسية، وهذا الوعي يكون عن طريق فضح محاولات التفرقة ومقاومتها، يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ)⁽¹⁾.

3. كتمان الأسرار ومنع ترويج الشائعات⁽²⁾. يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا)⁽³⁾.

المطلب الثاني

أهمية الحرب النفسية

لعلّ هذا الموضوع من أهم الموضوعات محلياً وعالمياً، ولا نقول ذلك بدافع الحماسة فحسب، بل هو حقيقة موضوعية واقعية، سواء كان ذلك في الماضي أو الحاضر.

لقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالإعداد المادي والمعنوي لمواجهة عدوهم فقال سبحانه وتعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)⁽⁴⁾

"وجاء الأمر في هذه الآية بإعداد العدة حفاظاً على الإسلام وضماناً له سواء بالسلم أو الحرب"⁽⁵⁾.

(1) آل عمران: 100.

(2) انظر: نوفل، أحمد: الإشاعة، ط1. عمان: دار الفرقان. (1403 هـ - 1983م). ص 145 - 148. بتصرف.

(3) الأحزاب: 70.

(4) الأنفال: 60.

(5) انظر: شلتوت. محمود: تفسير القرآن الكريم، ط6. بيروت: دار الشروق. (1394 هـ - 1974). ص519.

ومن الآيات التي بينت أهمية إلقاء الرعب في القلوب قبل التمكن من أخذ المواقع في الحروب، ما جاء في قوله تعالى: (سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ⁽¹⁾ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ⁽²⁾). "وإلقاء الرعب والخوف في قلوب الكافرين، من النعم الجليلة التي أنعمها الله تعالى على المؤمنين"⁽³⁾.

وحول هذا المعنى روى جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "نصرت بالرعب مسيرة شهر"⁽⁴⁾.

وفي رواية الإمام مسلم، عن جابر بن عبد الله كذلك قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر"⁽⁵⁾.

"وإنما جعل الغاية شهراً؛ لأنه لم يكن بين بلده وبين أحد من أعدائه أكثر منه، وهذه الخصوصية حاصلة له على الإطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر"⁽⁶⁾.

وعن أهمية هذا الموضوع، جاء في الموسوعة العسكرية: "أن الحرب النفسية مهمة جداً في أي صراع بين قوتين، لأن للعمليات العسكرية العادية وكذلك الدبلوماسية زاوية نفسية يجب استغلالها لتحقيق مكاسب أفضل، كما أن الحرب النفسية مهمة جداً في الحروب التقليدية إلا أنها أكثر أهمية في الحرب الثورية، نظراً لأن العامل المعنوي يلعب دوراً رئيسياً في هذه الحرب، وانتصار القوة المضادة في الحرب النفسية كفيل بتجريد الثوار من سلاح أساسي في أيديهم"⁽⁷⁾.

(1) الرعب: الانقطاع من امتلاء الخوف.

انظر: الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن. (مرجع سابق). ص 197.

(2) الأنفال: 12.

(3) الزحيلي: التفسير في العقيدة والشريعة والمنهج. ج 9. (مرجع سابق). ص 271.

(4) البخاري: صحيح البخاري. كتاب التيمم. رقم الحديث: (335). (مرجع سابق). ص 86.

(5) مسلم: صحيح مسلم. كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب: الصلاة في ثوب واحد وصفة لبسه. رقم الحديث:

(521). ج 1. (مرجع سابق). ص 371.

(6) انظر: العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري. كتاب التيمم. مج 1. (مرجع سابق). ص 437.

(7) الهيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية. مج 1. (مرجع سابق). ص 767. بتصرف.

"والعلم العسكري كما هو خبرة الحروب كذلك , يُجمعان على أن الحرب النفسية هي سلاح فعال وشديد التأثير في المعركة ويساهم مساهمة كبيرة مع أعمال القتال وغيرها من أساليب الصراع في تحقيق الانتصار بسرعة، وبأقل الخسائر في الأرواح والمعدات"⁽¹⁾.

إن أكثر القادة والمفكرين, عسكريين كانوا أم سياسيين, يعتبرون أن الحرب النفسية أصبحت جزءاً مكملاً للحرب العسكرية والحرب السياسية -الأيدولوجية- لذا نجد أن معظم الدول اليوم تسعى إلى تسخير جزء كبير من مجهودها في تطوير مسائل الحرب النفسية"⁽²⁾. مما تتضح معه الأهمية الكبرى لهذه الحرب"⁽³⁾.

"كما أن الحرب النفسية تعتبر جزءاً من النشاطات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، التي تتم خلال الحرب الفعلية أو الحرب الباردة"⁽⁴⁾.

لقد أكد علماء النفس بضرورة دراسة هذا الجانب لما له من أهمية كبيرة "فإذا كان هذا العصر هو عصر الذرة والصواريخ والأقمار الصناعية فهو أيضاً عصر علم النفس"⁽⁵⁾.

والاهتمام بدراسة طبيعة الإنسان ضرورية جداً؛ لأن الإنسان هو الذي تركز عليه كل مقومات الحياة، وهو المسؤول عن إصلاح ما فيها من خراب.

كما أن هذه الدراسة وحب الاستطلاع فيها، يدفع العلماء إلى سبر أغوار الطبيعة البشرية، واكتشاف مجاهلها ومعرفة أسرارها"⁽⁶⁾.

وهذا -بمجمله- يعمل على تحقيق أهداف المسؤولين بإبقاء نعمة الأمن موجودة بين الشعوب، وعدم السماح للإنسان نفسه من الاستيلاء على خيارات غيره ظلماً وعتواً.

(1) الدباغ: المرجع في الحرب النفسية. (مرجع سابق). ص47.

(2) نوفل: الحرب النفسية. الكتاب الأول. (مرجع سابق). ص30.

(3) الدباغ: المرجع في الحرب النفسية. (مرجع سابق). ص48.

(4) بدر، أحمد: الاتصال بالجمهير والدعاية الدولية. ط3. الكويت: وكالة المطبوعات. (1982م). ص304.

(5) انظر: جلال، سعيد: المرجع في علم النفس. ط3. (1963م) ص4.

(6) العيسوي، عبد الرحمن: أصول البحث السيكولوجي. (د.ط.). بيروت: دار الراتب الجامعية. (د.ت). ص28.

المطلب الثالث

أهداف الحرب النفسية

لقد جاء الإسلام ليكون إعلاناً عاماً لتحرير الإنسان في الأرض من العبودية للعباد، وذلك بإعلان ألوهية الله وحده سبحانه جلّ في علاه، والعمل على إزالة حاكمية البشر في كل صورها وأشكالها، واقتصارها على الله تعالى، خالق الأرض والسماوات.

وجاء الإسلام - كذلك - ليعمل على عدم هيمنة أي قوة في الأرض على قوى أضعف منها، ولعدم استيلاء القوي لمقومات الجانب الضعيف بدون أي حق يُذكر، وليبقى هو صاحب الأمر والنهي.

يقول الله عز وجل: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ)⁽¹⁾.

"إن هذا الإعلان معناه: انتزاع سلطان الله المغتصب وردّه إلى الله تعالى، وطرد المغتصبين له"⁽²⁾.

ولقد بين الله تعالى في قرآنه الكريم أن الإسلام دين واضح متميز قائم على قواعد متينة من العقيدة الثابتة الصلبة، فقال سبحانه وتعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)⁽³⁾.

"وهذه الآية تتضمن قاعدة كبيرة من قواعد هذا الدين، وهي قاعدة مبعثها رفض القسر والإكراه أن يكونا سبيلاً لحمل الناس على الإيمان، أو الالتزام بعقيدة الإسلام"⁽⁴⁾.

السبيل إلى بقاء العزة لله وحده، وعدم هيمنة أحد على خلقه:

ولا بدّ لتحقيق هذا الهدف الضخم من أمرين أساسيين:

(1) الأنفال: 39.

(2) قطب: في ظلال القرآن. مج3. (مرجع سابق). ص1433.

(3) البقرة: 256.

(4) عبد العزيز: التفسير الشامل للقرآن الكريم. مج1. (مرجع سابق). ص391. بتصرف.

أولهما: "دفع الأذى والفتنة عن معتقون الدين الإسلامي، ويعلنون تحررهم من حاكمية الإنسان، وهذا لا يتم إلا بوجود عصابة مؤمنة ذات تجمع حركي تحت قيادة تؤمن بهذا الإعلان العام، وتتفذه في عالم الواقع، وتجاهد كل طاغوت يعتدي بالأذى والفتنة على معتنقي هذا الدين أو يصد بالقوة وبوسائل الضغط من يريدون اعتناقه.

ثانيهما: تحطيم كل قوة في الأرض تقوم على أساس عبودية البشر للبشر -في أي صورة من الصور-⁽¹⁾.

من جهة أخرى، نستطيع القول بأن الإجراءات التي تقوم بها الجهات التي تباشر الحرب -وفي مقدمة ذلك الحرب النفسية- تكون ذات اتجاهين: داخلي وخارجي.

"الأول يهدف على إيجاد وتعزيز الروح المعنوية والإرادة لدى الأمة،

والثاني يهدف إلى تحطيم المعنويات وتدمير الإرادة لدى العدو"⁽²⁾.

وهنا تتضح الصورة، بأن أهم أهداف هذه الحرب هو العدو، ثم من يدور في فلكهم من المتربصين والمرجفين، مما يجعل الجبهة الداخلية مسؤولة عن تحطيمه، بما يكفل استمرارية تماسكها الداخلي.

"ومن هنا انقسم العالم إلى كتل تواجه كل منها الأخرى على هذا النحو:

1. الأعداء.

2. الأصدقاء.

3. المحايدون.

وعلى هذه الجبهات الثلاث، تعمل الحرب النفسية وفق خطط محددة.

(1) انظر: قطب: في ظلال القرآن. مج3. (مرجع سابق). ص1508.

(2) انظر: الدباغ: المرجع في الحرب النفسية. (مرجع سابق). ص49.

"فعلى مستوى الأعداء، سواء أكان هذا العدو دولة أو مجموعة حزبية أو كتلة عسكرية، فإن الحرب النفسية تستهدف في هذه الحالة تحطيم هذا العدو وإحاق الهزيمة به.

وعلى مستوى الأصدقاء، فإنها تعتنق وجهات نظرهم وتحملها وتدافع عنها.

وبالنسبة للمحايدين، فإنها تعمل على كسبهم إلى جانب القضية التي تتصدى للدفاع عنها.

أما الجبهة الداخلية، فإنها تعمل -وبكافة الوسائل- لتحقيق عدة أغراض في آن واحد، وفي مقدمتها: إقناع الشعب بأن قضيته عادلة، والاحتفاظ بمعنوياته مرتفعة⁽¹⁾.
ويلخص لنا الأستاذ عبد الله مناصرة أهداف الحرب النفسية أنها تعمل على:

1. بث اليأس من النصر في نفوس القوات المعادية.
2. إضعاف الجبهة الداخلية للعدو وإحداث ثغرات داخلها.
3. إضعاف المعنويات، إذ أن الهدف الحيوي من الحرب هو تحطيم الطاقات المادية والمعنوية للعدو.
4. التشكيك في القيادة.
5. تفتيت وحدة الأمة وإحداث الفرقة بين صفوفها.
6. تعزيز الصداقة مع الدول الحليفة⁽²⁾.

وجاء في الموسوعة العسكرية أن الحرب النفسية تهدف إلى "خلق تصورات معينة لدى العدو، أو نفي تصورات معينة عن طريق الدعاية أو عمليات عسكرية استعراضية، بالإضافة إلى عمليات غسل الدماغ"⁽³⁾.

(1) انظر: نوفل: الحرب النفسية. "الكتاب الأول". (مرجع سابق). ص71.

(2) مناصرة، عبد الله علي السلامة: الإستخبارات العسكرية في الإسلام. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة. (1412 هـ - 1991م). ص160 - 161.

(3) الهيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية. مج1. (مرجع سابق). ص767. بتصرف.

أما ما يسمى بالحرب الباردة فهي التي تكون "مستخدمة الوسائل المختلفة عدا الاستخدام المباشر للقوة العسكرية لتنتهي إلى حرب ساخنة وتقف القوة المسلحة كقوة ردع"⁽¹⁾.

هذه بعض الأهداف التي تصبو إليها كثير من الدول سواء كانت معادية أم غير ذلك، للحيلولة دون نهوض دول أخرى معادية لها للنيل منها أو العمل على إضعاف قوتها.

المطلب الرابع

الاستدلال بمشروعية الحرب النفسية

أولاً: الدليل من القرآن الكريم:

قال الله تعالى: (وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)⁽²⁾ "وفي هذا بشرى للذين يشتركون في حملات الجهاد في سبيل الله تعالى من عظيم الأجر والمنزلة مهما كان نصيبهم فيها، ولو لم يقع الحرب بينهم وبين الكفار"⁽³⁾.

"وقد أُطلق النيل ليعم كل وجوه الأخذ مما يغيظهم ويسوءهم كالقتل والأسر والإتخان وسومهم الهزيمة"⁽⁴⁾.

وجه الاستدلال:

تدل الآية الكريمة -بمضمونها- على أن الجهاد بإقامة الحجة على أعداء الله تعالى ورفع الأصوات عليهم عند اللقاء وزعزعة ثقتهم بأنفسهم جائز شرعاً إذا كان ذلك لأغراض جهادية، إذ النيل كما يكون بالسلاح قد يكون باللسان أيضاً، وكما يكون بقذف القنابل والرصاص على الأعداء، يكون أيضاً بقذف الرعب في نفوس جندهم بشتى صور الحرب النفسية⁽⁵⁾.

(1) سالم، صلاح: حروب المنطقة العربية. ط1. القاهرة: دار الشروق. (1422هـ-2001م). ص89. بتصرف.

(2) التوبة: 120.

(3) دروزة، محمد عزة: التفسير الحديث. ج12. (د.ط.). (1383هـ-1964م). ص237. بتصرف.

(4) عبد العزيز: التفسير الشامل للقرآن الكريم. مج3. (مرجع سابق). ص1565.

(5) مناصرة، عبد الله علي السلامة: الاستخبارات العسكرية في الإسلام. (مرجع سابق). ص166.

وحول ما جاء عن هذه الآية الكريمة وما حملت من نتائج باهرة- كانت قد حصلت في غزوة تبوك-، يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: ولقد برهنوا بذلك في صدق إيمانهم بالله ومحبتهم له أن يكفيهم الله تعالى القتال، برعب من لدنه يقذفه في قلوب أعدائهم، ولقد كانت رحلة عجيبة في عذابها وأتاعها ومشاهد العسر التي فيها، وما الجهاد الذي أمر الله تعالى به؟

هل هو إلا بذل النفس والجهد في سبيل شرعة الله تعالى ودينه؟⁽¹⁾.

ثانياً: الدليل من السنة النبوية الشريفة:

عن البراء بن عازب -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول لحسان بن ثابت-رضي الله عنه- "أهْجُهُمْ أَوْ هَاجَهُمْ، وَجَبْرِيلُ مَعَكَ"⁽²⁾.

ويستفاد من هذا الحديث "استحباب الشعر إذا كان:

1. في هجاء الكفار.

2. في التحريض على قتالهم أو تحقيرهم ونحو ذلك"⁽³⁾.

ومن الأمثلة على ذلك ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق.

عن البراء بن عازب -رضي الله عنه- كذلك قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم

يوم الخندق وهو يرتجز برجز عبد الله بن رواحه:

(1) البوطي، محمد سعيد رمضان: فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة. ط11. بيروت: دار الفكر

المعاصر. دمشق: دار الفكر. (1417 هـ - 1996 م). ص301.

(2) مسلم: صحيح مسلم. كتاب فضائل الصحابة. باب: فضائل حسان بن ثابت. رقم الحديث (2486). ج4. (مرجع سابق). ص1933.

(3) انظر: النووي: صحيح مسلم بشرح النووي. باب: فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه. مج8. ج16. (مرجع سابق). ص45-46.

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينتنا علينا
إن الأعداء قد بغوا علينا
ووثبت الأقدام إن لا قبينا
إذا أرادوا الفتنة أبيننا⁽¹⁾
ولا تصدقنا ولا صلينا

المبحث الثاني

صور رائعة من القيادات

"إن الإنسان يتطور وتنمو آماله لتحقيق مستوى أفضل من التقدم والرقى، ونتيجة للتنافس بين الناس ظهرت الحروب وظهرت معها وسائلها المختلفة التي يتحقق بها الظفر"⁽²⁾.

ومن الطبيعي أن يبادر القادرون على الكتابة بإخراج ما يريدون إخرجه من كتب ومجلدات تخص القادة الأفاضل من الصحابة ومن تلاهم حتى يومنا هذا.

يقول اللواء محمود شيت خطاب: "ولعلّ المسلمين، يوقنون أن قادتهم أعظم من القيادة الأجنب، وأكثر كفاية واقتداراً، وأنّ ما غرسه المستعمر من تفوق الأجنبي، ما هو إلا حديث خرافة بعيد عن الواقع والحق، وأنّ العرب والمسلمين أمة لا تقل شأنًا عن سائر الأمم، وبإمكانها أن تأخذ مكانتها بين الأمم الأخرى"⁽³⁾.

وعن القيادة ومدى الحاجة إليها يقول اللواء محمد جمال الدين محفوظ: "إن القيادة ظاهرة اجتماعية ذات جذور عميقة تتصل بطبيعة الإنسان وتراثه الثقافي، ومشاركته لمن حوله في مجتمعه، فالوجود المشترك لشخصين أو أكثر يخلق نوعاً من الحاجة إلى من ينظم العلاقات القائمة بينهم"⁽⁴⁾.

(1) البخاري: صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسير. باب: الرجز في الحرب ورفع الصوت في حفر الخندق. رقم الحديث: (3034). (مرجع سابق). ص580.

(2) الدغمي، محمد رakan: التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية. ط2. القاهرة: دار الإسلام. (1407هـ — 1985م). ص32.

(3) خطاب: العسكرية العربية الإسلامية. (مرجع سابق). ص 48-49. بتصريف يسير.

(4) محفوظ، محمد جمال الدين: النظرية العسكرية في القيادة الحربية. رقم (2). (د. ط). القاهرة: دار الاعتصام. (د. ت). ص 17. بتصريف.

ويرى علماء النفس أن أهم صفات القيادة هي:

1. أن يكون القائد كفوًا في عمله.

2. أن يكون دؤوباً على بذل الجهد.

3. وأن يكون جديراً بالثقة⁽¹⁾.

ولعلَّ من أبرز الصفات التي ينبغي توفرها لدى القائد؛ القدوة الحسنة، ولقد كان النبيوع الصافي في هذا الجانب هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث إن القرآن الكريم أكد أن الجاذبية التي تكمن وراء ذلك الأمر هو عدم تعلق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بحطام الدنيا وزخرفها، بل كانت أنظارهم مصوَّبة نحو تحقيق النصر على الأعداء، وليس الطمع بما في أيدي الأعداء، من أجل ذلك قال الله تعالى حاكياً عن المعاندين الذين عاندوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، مستغربين الصورة التي كان عليها: (وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا)⁽²⁾.

وحول هذا المعني من الترفع عن حطام الدنيا وزخرفها وضرورة التأسى بهذا النموذج النبوي الرائع، يقول الأستاذ محمد قطب: "إن القائد الذي يأخذ الأسوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويطبق المنهج النبوي على صورته الصحيحة، لا بد أن يكون إنساناً فائقاً متصفاً بالصفات اللازمة للقيادة"⁽³⁾.

(1) محفوظ: النظرية العسكرية في القيادة الحربية. (مرجع سابق). ص26. بتصرف.

(2) الفرقان: 7-8.

(3) انظر، قطب، محمد: واقعا المعاصر. ط1. السعودية: مؤسسة المدينة. (1407هـ-1986). ص503.

المطلب الأول

في تاريخ الصحابة الكرام

خالد بن الوليد - رضي الله عنه -:

هو "الصحابي خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي، سيف الله الفاتح، كان من أشرف قريش في الجاهلية وأسلم قبل فتح مكة سنة 7هـ"⁽¹⁾.

"واستخلفه أبو بكر رضي الله عنه - على الشام إلى أن عزله عمر رضي الله عنه - وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العزى فهدمها"⁽²⁾.

حرصه على الجهاد:

لقد حرص خالد بن الوليد - رضي الله عنه - على الجهاد حرصاً شديداً، وقد تقدّم حبه للجهاد على محبته للأهل والأولاد، فكان مما قاله في ذلك " ما كان في الأرض من ليلة أحب إليّ من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبّح بهم العدو، فعليكم بالجهاد"⁽³⁾.

تعبئة خالد للجيش في محاربته للروم في معركة اليرموك:

"حصلت معركة اليرموك سنة ثلاث عشرة للهجرة، وكان عدد المسلمين أربعين ألفاً وقيل في عددهم غير ذلك، وكان فيهم ألف صحابي، منهم نحو مائة ممن شهد بدرًا، وكان الروم في مائتي ألف وأربعين ألف مقاتل، وكان قتال المسلمين لهم على تساند، كل أمير على أصحابه لا يجمعهم أحد، حتى قدم خالد بن الوليد من العراق، وكان القسييسون والرهبان يجرّضون الروم شهراً، فلما أحسّ المسلمون بخروجهم أرادوا الخروج متساندين فسار فيهم خالد بن الوليد، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن هذا يومٌ من أيام الله، لا ينبغي

(1) ابن الجوزي: صفة الصفوة. مج1. (مرجع سابق). ص650. بتصرف.

(2) انظر: العسقلاني، أحمد بن علي (المعروف بابن حجر): الإصباة في تمييز الصحابة. مج2. تحقيق: علي محمد

البيجاوي. (د.ط.). مصر: مطبعة نهضة. (د.ت.). ص (251-253) بتصرف.

(3) (المرجع السابق). مج2. ص 254.

فيه الفخر ولا البغي، أخلصوا جهادكم فإنّ هذا يوم له ما بعده، إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردهم، وإن هزمونا لم نفلح بعدها، فهلموا فلنتعاور الإمارة فليكن بعضنا اليوم والآخر غداً والآخر بعد غد حتى تتأمروا كاكم، ودعوني أتأمر اليوم، فأمره⁽¹⁾.

وعن صفات القائد خالد رضي الله عنه- نلخص شيئاً مما قاله الدكتور احمد الشرباصي عنه فقال: "كان خالد بن الوليد رضي الله عنه- سيفاً مسلواً سلّه الله تعالى على الباغين، وكان بطلاً مشهوداً له بالنبوغ والعبقرية، وكان قائداً عظيماً ناجحاً، يقتدى به في المعارك، والذي أهله لذلك صفات جليّة منها:

1. الشجاعة والإقدام وقلة المبالاة بالأخطار.
2. الفروسية وفقه الحركة وإجادة الرمي والطعن والمبارزة.
3. دراسة ما يتعلّق بالمعركة قبل بدئها دراسة كاملة شاملة.
4. الانتفاع بكل القوى والجنود الموجودين معه، ووضع كل فرد في المكان المناسب له.
5. استخدام عنصر المفاجأة والمخادعة.
6. كان يشد في موقف الشدة وكان صارماً حينما تستلزم الأمور الصرامة.
7. كان يدرس نفسية الجنود ويحسن علاجها بما يرضيها ويسيطر عليها.
8. كان يحرص في محاربة أعدائه على تحطيم قائدهم لتنتهار معنوياتهم فيسهل التغلب عليهم.

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ. مج2. (مرجع سابق). ص410-411. بتصرف.

9. "تتجلى فيه الثقة بالله تعالى والتوكل عليه، مما يزيد في قوته المعنوية"⁽¹⁾.

استخدام خالد -رضي الله عنه- أساليب تعبوية جديدة:

أما بخصوص استخدام خالد -رضي الله عنه- أساليب تعبوية جديدة، فقد اشتهر عنه بتطور أفكاره التعبوية وتجديدها، فهو لا يكاد يقاتل بأسلوب تعبوي واحد في معركتين على الأقل، بل يعمل على توفير أسباب الحيرة وإلقاء الفرع في قلوب الأعداء"⁽²⁾.

وحول هذه المعاني وعن هذه التعبئة قال ابن الأثير في تاريخه: "خرجت الروم في تعبئة لم ير الراؤون مثلها قط، وخرج خالد في تعبئة لم تعبها العرب قبل ذلك فخرج في ستة وثلاثين كردوساً⁽³⁾ إلى أربعين، وقال: إن عدوكم كثير وليس تعبئة أكثر في رأي العين من الكراديس فجعل القلب كراديس وجعل الميمنة كراديس، وجعل الميسرة كراديس وجعل على كل كردوس رجلاً من الشجعان"⁽⁴⁾.

(1) الشرباصي، أحمد: موسوعة الفداء في الإسلام. ج3. ط1. بيروت: دار الجيل. (1983م). (مرجع سابق).

ص411. بتصرف.

(2) (المرجع السابق)، ج2، ص412. بتصرف.

(3) الكردوسة، قطعة عظيمة من الخيل، وكل عظيمين التقيا في مفصل. وكردس الخيل: جعلها كتيبة كتيبة: وهو المشي في تقارب.

انظر: الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط. ج3. (د. ط.). القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى. (1913م). ص245.

(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ. مج2. (مرجع سابق). ص411. بتصرف.

اعتماد خالد -رضي الله عنه- على الإيمان والهمة:

وحول هذا المعنى يقول عباس العقاد عن خالد -رضي الله عنه- وذلك في عبقريته

المنسوبة له:

"لقد كان خالد بن الوليد -رضي الله عنه- يعتمد على الإيمان وهمة الأمل، فيتعهد جيشه بالعظائم قبل القتال وفي أثناء القتال، ولا يفوته وهو مشغول بالضرب والطعن والتوجيه والمراقبة أن يطوف بالتذكير بين الصفوف للتذكير والتشجيع، فأقواله ليست هي أصداً تمر بالهواء، ولكنها هي العز والصبر ماثلاً للعيان يسريان بالقدوة منه إلى كل مسمع وجنان"⁽¹⁾.

إن الإيمان العميق بالله تعالى بأنه هو الذي بيده ملكوت السموات والأرض، وهو الذي يعز ويذل ثم العمل على إيجاد جميع عوامل تحصيل الهمة لدى القائد -أولاً- نحو ذاته ثم نحو الجند؛ لهو من عوامل النجاح الحقيقية في المعركة الدائرة بين الحق والباطل.

نهاية المعركة:

"وفي معركة اليرموك انهزم الروم، وكان هرقل⁽²⁾ بحمص⁽³⁾ فنادى بالرحيل عنها قريباً، وكان من أصيب من المسلمين ثلاثة آلاف⁽⁴⁾. وهكذا، فقد انتصر المسلمون في هذه المعركة بالرغم من قلة العدد بجانب أعدائهم الروم، وذلك بفضل الله تعالى -أولاً-، ثم بحسن إدارة الجيش من قبل القائد الذي يعمل على رفع المعنويات في الجيوش مهما بلغت قوة الأعداء.

(1) العقاد، عباس محمود: عبقرية خالد. (د. ط.). مصر: دار الهلال. (د. ت). ص156. بتصرف.

(2) امبراطور بيزنطي، قاتل الفرس وهزمهم، هزم العرب قواته هزيمة حاسمة في معركة اليرموك.

انظر: البعلبكي، منير، موسوعة المورد العربية. مج2. ط1. دار العلم للملايين. (1990م). ص1260.

(3) بلد مشهور قديم مسور، وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق. يذكر ويؤنث. بناء رجل يقال له: حمص العمليقي.

انظر: الحموي. مج2. (مرجع سابق). ص302.

(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ. مج2. (مرجع سابق). ص414.

المطلب الثاني في تاريخ العلماء العظام

عبد العزيز بن عبد السلام⁽¹⁾.

علمه: "برع في الفقه والأصول والعربية، وفاق الأقران، وجمع بين فنون العلم في التفسير والحديث، ورحل إليه الطلبة من سائر البلاد"⁽²⁾ "ووعظ وكان لوعظه موقع في القلوب"⁽³⁾.

"كما أنه بلغ رتبة الاجتهاد، وله الفتاوى السديدة"⁽⁴⁾.

"ولم يترك عز الدين كتباً فحسب، ولكنه ترك تلاميذ صاروا من أعلام الأمة ومن نوابغ العلماء، نذكر منهم: ابن دقيق العيد وهو الذي لقبه بساطن العلماء"⁽⁵⁾.

(1) هو ابن أبي القاسم الدمشقي، عز الدين الملقب بساطن العلماء.

الزركلي، خير الدين: الأعلام، مج4. ط3. (1389هـ - 1969م). ص144.

ولد سنة سبع أو ثمانية وسبعين وخمسائة، توفي وقد نيف على الثمانين، وحضر جنازته خلق كثير.

ابن كثير: البداية والنهاية. مج7. ج13. (مرجع سابق). ص235-236. بتصرف.

من مصنفاته: القواعد الكبرى في أصول الفقه. الغاية في اختصار النهاية في فروع الفقه الشافعي. تفسير القرآن. العماد في موارد العباد.

انظر: كحالة: عمر رضا: معجم المؤلفين. (د.ط.). بيروت: دار إحياء التراث. (د.ت.). ج5. ص249.

(2) ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب. (د.ط.). بيروت: دار الأفاق الجديدة. (د.ت.). ج3. ص503. بتصرف.

(3) ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف الأتابكي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. ج7. ط1. دار الكتب المصرية. (1357هـ - 1938م). ص208.

(4) الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد: فوات الوفيات. ج1. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. (د.ط.). القاهرة: مكتبة النهضة. (د.ت.). ص595.

(5) بدوي، أحمد: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام. (د.ط.). مصر: مكتبة نهضة (د.ت.). ص164.

ثباته على الحق وموقفه من السلاطين:

"ووليّ الشيخ عز الدين بن عبد السلام قضاء مصر والوجه القبلي، وكان قدّم في هذه السنة من دمشق بسبب أن سلطانها الصالح إسماعيل استعان بالفرنج وأعطاهم مدينة صيدا"⁽¹⁾ وقلعة الشقيف⁽²⁾، "فأنكر عليه الشيخ عز الدين، وترك الدعاء له في الخطبة، وساعده في ذلك الشيخ جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب المالكي، فغضب السلطان منهما، فخرج إلى الديار المصرية فأرسل السلطان إلى الشيخ عز الدين، وهو في الطريق قاصداً يتلطف به العود إلى دمشق، فاجتمع به ولاينه، وقال له: ما نريد منك شيئاً إلا أن تتكسر للسلطان وتقبل يده لا غير، فقال الشيخ له: يا مسكين، ما أرضاه يقبل يديّ فضلاً عن أن أقبل يده! يا قوم أنتم في وادٍ وأنا في وادٍ! والحمد لله الذي عافانا مما ابتلاكُم"⁽³⁾.

وخلاصة القول، لقد كان "أماًراً بالمعروف نهياً عن المنكر لا يخاف في الله لومة لائم"⁽⁴⁾.

سرعة البديهة والذكاء عند العز ابن عبد السلام:

"ومن مواقفه في حرب التتار الذين داهموا البلاد الإسلامية ودمروا بغداد: فقد تدخل الشيخ وبث الهمة في نفوس الناس، وبعد التفاوض في الكلام فيما يتعلق بأخذ شيء من أموال العامّة لمساعدة الجند ضد التتار؛ كان حاصل كلامه أن قال: إذا لم يبق في بيت المال شيء، ثم أنفقت أموال الحوائض المذهّبة وغيرها من الفضة والزينة، وتساويتم أنتم والعامّة في الملابس؛

(1) صيداء: بالفتح ثم السكون، والذال المهملة، والمد: وهي مدينة على ساحل بحر الشام شرقي صور.

انظر: الحموي: معجم البلدان. مج3. (مرجع سابق). ص437.

وهذه السنة هي: سبع وثلاثين وستمئة، حيث إن الشيخ خطب فيها خطبة عريّة من البدع، وأزال الأعلام المذهّبة، وأقام هو عوضها سوداً بأبيض.

انظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: تاريخ الخلفاء. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (د.ط.). القاهرة: دار نهضة (1395هـ-1975م). ص734.

(2) وهي قلعة حصينة جدا في كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق.

انظر: الحموي: معجم البلدان. مج3. (مرجع سابق). ص356.

(3) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة. ج2. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط1. دار إحياء الكتب العربية. (1387هـ-1968م). ص161-162.

(4) الكتبي: فوات الوفيات. ج1، (مرجع سابق)، ص595.

ساغ للحاكم أخذ شيء من أموال الناس ودفع الأعداء عنهم؛ لأنه إذا دهم العدو البلاد، وجب على الناس كافة دفعهم بأموالهم وأنفسهم"⁽¹⁾.

وعن وقفة العز ابن عبد السلام في وجه الطغيان من التتر وغيرهم، نلخص ما قاله الدكتور محمد كردي حيث إنه قال: "ولقد وقف العز ابن عبد السلام في وجه الطغيان، وحمل راية الدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في وقت ابتليت فيه الأمة الإسلامية بالنوازل والمحن، وغفلت عن دينها وابتعدت عن منهجها فوقعت أسيرة التتر والمغول والصليبيين الذين استغلوا أشتاتها وتمزقها.

ولمّا عمّ الجهل وانتشر الفساد؛ وقف الإمام "العز" ليقول كلمة الحق يبدد بها ظلام الجهل، ويمنع بها طغيان الحكّام وظلم المتكبرين، ويعيد التائهين من أمة الإسلام إلى رشدهم، ويشد أزرهم ويلهب حماسهم بقوله تعالى: (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)⁽²⁾⁽³⁾.

هذا هو الأصل في كل من يتولى شؤون الناس من العلماء والمسؤولين بشتى مواقع وجودهم، فهم الذين يعملون على تشييد بنیان شعوبهم إن تصدع من أي دخيل كان، وهم الذين يعملون -وباستمرار- على شحذ نفوس من يتولون أمور حياتهم بالهمم العالية، إن كان قد دخل هذه النفوس أدنى فتور، سيّما إن كانت تخضع تحت نير المحتل الغاصب.

يقول الله تعالى (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)⁽⁴⁾ وفي هذه الآية الكريمة يأمر الله تعالى المؤمنين بمقاتلة أعدائهم الكافرين الذين شأنهم وحالهم وهمهم قتال المسلمين، فكأن الكافرين على قتال دائم مع المؤمنين⁽⁵⁾.

(1) ابن كثير: البداية والنهاية. مج7. ج13. (مرجع سابق). ص215-216. بتصرف يسير.

(2) آل عمران: 139.

(3) كردي، محمد جمعة: فتاوى شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة. (1416هـ - 1996م). ص6.

(4) البقرة: 190

(5) عبد العزيز: التفسير الشامل للقرآن الكريم. مج1. (مرجع سابق). ص290.

وعن سيرة العز بن عبد السلام - بوجه عام - يقول الأستاذ حسني جرار:

"لقد عاش أحداث عصره فأثر بها وتفاعل معها وجاهد باليد كما جاهد بالقلم واللسان حتى كُتِبَ اسمه بأحرف من نور في سجل الخالدين"⁽¹⁾.

وعن حاجة الأمة اليوم لأمثال هذا الشيخ، عبّر الكاتبون بأقلامهم فقالوا:

"ويعلم الله كم نحتاج في ظروفنا الحاضرة إلى مثل الشيخ العز بن عبد السلام؛ جرأة في قول الحق، وإخلاصاً في العمل الإسلامي، وبدلاً بالنفس والنفيس، وتمسكاً بقيم إسلامنا العليا التي قادت المسلمين في كل مراحل تاريخهم إلى الانتصار الباهر وإلى إنقاذ البشرية من الهمجية والفوضى والإلحاد.

ولعلّ الله تعالى الذي أنقذ أمتنا من الهمجيين التتار، أن ينقذها من الصهاينة"⁽²⁾.

وهكذا فقد شاع اسم هذا الشيخ في الآفاق بعدما ترجم معاني العزة والبطولة والثبات على أرض الواقع غير آبه بكل ما أحاط به من وعيد وتخويف؛ ذلك لأنه كان قد استمد تلك المعاني من قول الله عز وجل:

(قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ
اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى
اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)⁽³⁾.

(1) جرار، حسني أدهم: من أجل فلسطين (مواقف عبر التاريخ الإسلامي). ط1. عمان: مؤسسة الزيتونة. (1419هـ - 1998م) ص 120.

(2) الجمبلاطي، علي، وأحمد محمد حسن: مع القائد الروحي للشعب سلطان العلماء الإمام العز بن عبد السلام. (د. ط). القاهرة: مكتبة الإنجلو. (1971م). ص5.

(3) التوبة: 51.

المبحث الثالث

أهمية استقلالية الشعوب وخطورة التبعية

لقد كان للحضارة الإسلامية مجدها المتميز بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، وبعد أن عرف خصوم الإسلام أن هذه الحضارة قادرة على المضي قدماً نحو تحقيق هذا المجد التليد؛ أخذوا يضعون العراقيل أمامها، فضلاً عن تشويه صورتها.

وحول هذا المعنى يقول الأستاذ أنور الجندي "إن سبيل هذا الاستلاب الحضاري هو الاستلاب الفكري، وسلاحه هو هدم الأسس والقيم لحضارة الأمة المستتلبة، والقضاء على مقومات ومظاهر حضارتها في نفسها وفي الواقع المعاش. أما الهدف من كل ذلك؛ هو تجريد الأمة من كيانه الحضاري والروحي ليسهل السيطرة عليها اقتصادياً واجتماعياً وفكرياً، وعندما تتخلى الأمة عن فنونها وآدابها لتقتبس أساليب أخرى؛ تذهب هويتها التي صنعها الإسلام، وذلك هو الخطر الذي يواجه المجتمع الإسلامي اليوم"⁽¹⁾.

ولاشك بأن من أبرز وجوه الخلاف بين ما يدعو إليه الإسلام وبين ما ينادي به الغرب؛ هو أن الإسلام دين واقعي، لا يبتعد بأي حال - عن تحقيق مطالب الإنسان وتلبيته لما يحتاجه، ولهذا أمر الله تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ومن تبعه إلى يوم الدين، بأن يثبتوا على هذا النهج القويم؛ لأنّ فيه عوامل نجاحهم وإنقاذهم من أي شر يواجههم أو يتحداهم، فقال تعالى: **(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)**⁽²⁾.

وفي ذلك يقول الإمام القرطبي:

"الشريعة: هي ما شرع الله لعباده من الدين، ومعنى جعلناك على شريعة من الأمر: أي

على منهاج واضح من أمر الدين يشرع بك إلى الحق.

(1) الجندي، أنور: ترشيد الفكر الإسلامي. (مرجع سابق). ص23. بتصرف.

(2) الجاثية: 18.

أما قوله تعالى: (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ): يعني
المشركين⁽¹⁾.

ولو أمعنا النظر في واقعنا الذي نعيش، نجد أن الغرب يدعو إلى إطلاق الحرية للناشئ
بدون رقابة أو توجيه سواء في مجال الغرائز أو الملابس أو العادات أو أي شيء من شؤون
الحياة المختلفة.

"وجدير بالذكر أن التربية الحرّة تتناقض مع ما يعرف بالتربية الوقائية في الإسلام،
فالإسلام في منهجه الوقائي يضع من الضوابط والأوامر والنواهي ما يحول دون ارتكاب
المعاصي ومخالفة قواعد التهذيب والسلوك، ويحدّ من مظاهر الانحراف والرذيلة بين أبناء
المجتمع"⁽²⁾.

من أجل ذلك حذر الله تعالى عباده من أن يقتربوا أيّة رذيلة، أو أن يسلكوا
طريقها، فقال الله تعالى: (وَلَا تَقْرَبُوا الزُّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ
فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا)⁽³⁾.

قال الإمام البرسوي في معنى ولا تقربوا الزنا:

"أي: بإتيان المقدمات من القبلة والغمزة والنظر بشهوة، فضلاً عن أن تباشروه"⁽⁴⁾.

وعن خطورة التبعية ومدى حرص الإسلام بعدم الوقوع في منزلقاتها، يوضّح أحد
الباحثين معالم هذا المنهج بقوله:

"الشائع والمعروف في عالم الطب أن المرض يسبق العلاج، وأن الوقاية تسبق
المرض، ولهذا قالوا: درهم وقاية خير من قنطار علاج. والطب الوقائي في الإسلام، يقوم على

(1) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. مج5. (مرجع سابق). ص 163-164. بتصرف.

(2) حسين، جمال محمد أحمد: التربية الإيمانية وأمن المجتمع. ط1. فلسطين: شركة النور للطباعة. (1421هـ-
2001م). ص50-51.

(3) الإسراء: 32.

(4) البرسوي: تفسير روح البيان. ج5. (مرجع سابق). ص154.

قواعد أساسية من التحصين، من شأنها أن تكسب الجسم مناعة ذاتية تقيه غوائل العدوى والأمراض الوبائية وميكروباتها وفيروساتها المختلفة⁽¹⁾.

إذن، التحرز من عدوى العادات السيئة التي تأتي من الغرب، بالإضافة إلى العمل على استقلالية الفكر والمنهج؛ أمران ضروريان بشرط أن يكون العمل على هذه الاستقلالية موافقاً لمنهج الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا من شأنه أن يجعل الأمة تتفرغ للإنتاج والإعمار، بالإضافة إلى تفرغها لما يحوم حولها من مكائد، الهدف منها سلخ الأمة عن عقيدتها ومنهاج ربها عز وجل، وهذا أفضل للأمة من أن تستنفذ جهدها في ترميم آثار الخراب النفسي لأبنائها، وللدمار العمراني لبنياتها.

وقد حذر الله تعالى من هؤلاء القوم الذين يريدون للمسلمين ذلك فقال الله تعالى عنهم:

(وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ)⁽²⁾.

إن العمل على تحقيق شخصية الشعوب الإسلامية واستقلالية فكرها الصافي عن أي فكر آخر، هو طريقٌ موصل لعدم التبعية، أما إن تخلت الشعوب الإسلامية عن تحقيق ذاتها، فسرعان ما تقوم بتقليد غيرها، وهذا من شأنه أن يساعد على فرط عقدها الديني يوماً بعد يوم، ولربما -لا قدر الله- يؤدي ذلك إلى الخروج من الملة دون الشعور بذلك. والله تعالى يقول: **(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)⁽³⁾.**

(1) يكن، فتحي: التربية الوقائية في الإسلام. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة. (1409هـ - 1989م). ص7.

(2) آل عمران: 69.

(3) آل عمران: 85.

أما ما يقصده علماء النفس والتربية من تكوين الشخصية الإسلامية هو أنها: "النظام المتكامل من مجموعة الخصائص الجسمية والوجدانية والنزوعية والإدراكية التي تحدد ذاتية الفرد وتميزه عن غيره من الأفراد"⁽¹⁾.

فإذا كان هذا النظام المتكامل يعمل على صقل الشخصية ورفع شأنها، حريٌّ إذن_ بأبناء هذا النظام أن يرتقوا بأنفسهم ويعملوا على تهذيبها بمنهج ربها عزّ وجل، لا أن يطلّوا برؤوسهم نحو ما عند غيرهم من أفكار هدامة قد تخلى كثير من أصحابها عنها.

ونعطي هنا مثلاً ورد على لسان أحد الباحثين في موضوع الاستقلالية وأهمية ترجمتها على أرض الواقع فيقول: "أرسلت بريطانيا مندوباً لها إلى إحدى الدول الإسلامية ليقوم بعملية مسح اجتماعي لعادات وتقاليد المجتمع هناك؛ لمعرفة مدى الإمكانية المتاحة لاستعمارها..

دخل هذا الرجل في البلد المطلوب مسحه، وأخذ يتجول في الشوارع، وبعد مضي وقت قصير، فوجئ بأن أهل البلد كلّفوا أحد عمال التنظيفات ليقوم بوضع التراب من تحت رجليه داخل كيس كبير.

في البداية ظن الرجل البريطاني أنهم يقومون بذلك ظناً منهم أنه "رجل مقدس" وأن التراب يحملونه للتبرك به.

وبعد انتهاء جولته في شوارع المدينة، سأل البريطاني: من الرجل الذي كان يحمل الكيس وماذا سيفعل به؟

فأجاب الرجل: إننا نعتبرك أجنبياً عن بلادنا وعاداتنا وتقاليدنا، والتراب الذي وطأته برجلك لا نريد أن نبقية عندنا، وسوف نرميه بعيداً جداً.

(1) انظر: فرغل، يحيى هاشم حسن: معالم شخصية المسلم. (د. ط.). بيروت: منشورات المكتبة العصرية. (د. ت). ص7.

ولما عاد الرجل إلى بريطانيا، قدّم تقريراً للحكومة جاء فيه: في هذه البلاد يستحيل لبريطاني أن يجد موضع قدم، وإذا أردتم استعمارها فلا بد أن تغيّروا دين وعادات وأفكار شعوبها، وبعد ذلك افعلوا ما تشاؤون⁽¹⁾.

أما المخاطر التي يقاسي منها المسلمون اليوم، والتي تسمى "بفكرة التغريب"، يشير إليها الأستاذ أنور الجندي قائلاً بأنها:

خلق عقلية جديدة تعتمد على تصورات الفكر الغربي ومقاييسه، ثم محاكمة الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي من خلالها؛ بهدف سيادة الحضارة الغربية وتسييدها على حضارات الأمم، لا سيما الحضارة الإسلامية.

ويعتبر الأستاذ الجندي أن من أهداف هذا التغريب؛ هو خلق أجيال جديدة من المسلمين والعرب، تحترق مقومات الحياة الإسلامية والشرقية، بالإضافة إلى تدمير البطولات العربية والإسلامية والتشكيك في عظمتها، وفي مقدمتها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام- رضوان الله عنهم- وأبطال الإسلام ومفكريه.

أما أخطر محاولات التغريب؛ هو وضع البديل في مواجهة الأصيل، والعمل على تقديم بدائل سريعة ذات مظهر لامع وتحوطها هالة من الدعاية لخلق كل فكرة أصيلة تحت اسم البحث العلمي والعبارات البراقة الخادعة⁽²⁾.

لكن الأمة الواعية، لا يمكن أن يمرر عليها مثل هذا ما دامت يقظة وجادة في تنبيه أبنائها لكل ذلك، وفي ظل ما تتعم به من دستور خالد يصلح لكل زمان ومكان، وفي هذا يقول الله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا)⁽³⁾.

(1) المدرسي، هادي: الاستقلالية الإسلامية. ط1. بيروت: دار التعارف. (1397هـ-1977م). ص37-38. نحو هذا اللفظ. بتصرف.

(2) انظر: الجندي: ترشيد الفكر الإسلامي. (مرجع سابق). ص43-44. بتصرف.

(3) المائدة: 3.

الخاتمة

أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:

في ختام رحلة بحثي عبر الصفحات الماضية، فإنني أضع أهم النتائج التي وقفت عليها من خلال البحث، وهي:

1. عمل القرآن الكريم بوضوح تام- على تحصيل هذه التعبئة لدى المؤمنين الصادقين، مخاطباً قلوبهم وعقولهم وذلك من خلال آيات كثيرة فيه.

2. وردت أحاديث كثيرة ومواقف نبوية عظيمة عملت على ترسيخ مفهوم التعبئة المعنوية.

3. حرص الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم- على المضي قدماً نحو تحقيق أسمى صور الشجاعة والبطولة، بعد فهمهم لما تحمل هذه التعبئة من نتائج باهرة، وفي مقدمتها الفوز بالجنة.

4. قام كثير من العلماء والكتّاب بخدمة هذا الجانب لشعورهم بأهميته.

5. لعبت الحرب النفسية دوراً كبيراً في تحقيق هذه التعبئة.

6. أدرك أعداء الأمة أن تفريغ الشعوب الإسلامية من عادات وتقاليد كثيرة سبيل واضح للسيطرة على مقوماتها وخيراتها، لذا كان من الضروري بذل أقصى الجهود في إيقاع الرعب في قلوب الأعداء للحيلولة دون تفكيرهم بالسيطرة على ثروات ومقدّرات الأمة المسلمة.

وفي الختام: أجد لزاماً عليّ أن أقول: إن كنت وفقت فيما ذهبت إليه فالفضل لله أولاً وأخراً وله الحمد في الأمر كله، وإن كنت قد تنكبت الطريق القويم فمبلغ العلم أنني بشر أخطئ وأصيب، سائلاً المولى عز وجل واسع مغفرته وعظيم أجره.

توصيات مقترحة

أوصي -في ختام هذا البحث- بعدة أمور وهي:

1. الدعوة إلى تفعيل موضوع التعبئة المعنوية بين الأفراد، سيّما الناشئين منهم واليا فعيين.
2. الاستزاده من مطالعة هذا الجانب ثقافياً؛ لما يحويه من فوائد وعبر تُخرج الحائرِين من حيرتهم.
3. العمل على كسب الخبرة من الذين سبقونا في السن وعدم تجاهل تجاربهم الحيّة، والتي تخدم هذا الجانب أيّما خدمة.
4. تخلص المناهج المدرسية والجامعية مما علق عليها من تشوّهات فكرية تخدم مصالح الأعداء سواء كان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر.
5. تخصيص مواد مدرسية وجامعية إجبارية لدراسة هذا الجانب ومعرفة لوازمه.
6. إقامة الندوات والمؤتمرات العلمية لنشر وعي إسلامي فاعل حول موضوع التعبئة المعنوية، وإثارة العقول في سبيل إنماء ذلك وتطويره.
7. كما وأدعو كل داعية غيور إلى الإسهام بقلمه أو بلسانه، لنشر الوعي والثقافة التي تخدم هذا الموضوع وتسهم في معالجته.
8. عدم وقوف الحكومات العربية حائلاً دون تحقيق ما ذكر بيل عليها توفير كل متطلبات الشعوب في سبيل إبقاء عزة وهيبة الدولة أمام كل متربص لها أو طامع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس الآيات

الرقم	الآية الكريمة	رقمها	السورة	الصفحة
1	كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً	249	البقرة	2، 31، 37
2	وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ	109	البقرة	19
3	فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا	10	البقرة	20
4	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا	143	البقرة	39
5	وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ	190	البقرة	116، 41
6	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ	153	البقرة	49
7	إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ	153	البقرة	49
8	أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ	214	البقرة	49
9	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ	183	البقرة	82
10	الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ	197	البقرة	82
11	فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ	256	البقرة	84
12	لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ	256	البقرة	103
13	وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ	190	البقرة	41، 116
14	إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ	160	آل عمران	2
15	وَكَايِن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ	146	آل عمران	12، 50
16	وَإِنَّمَا مُحَمَّدٌ الْآرَسُولُ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ	144	آل عمران	17
17	وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا	103	آل عمران	18، 40

27	آل عمران	175	إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا	18
37	آل عمران	123	وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ	19
66	آل عمران	169	وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ	20
99	آل عمران	173	الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ	21
18	آل عمران	103	وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا	22
44	آل عمران	139	وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ	23
49	آل عمران	125	بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتِكُمْ مِّنْ فُورِهِمْ	24
12	آل عمران	146	وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ	25
50	آل عمران	200	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا	26
56	آل عمران	147	وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا	27
57	آل عمران	155	إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ	28
58	آل عمران	186	لَتَبْلُغُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ	29
61	آل عمران	159	فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ	30
66	آل عمران	169	وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ	31
99، 39	آل عمران	173	الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ	32
100	آل عمران	100	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ	33
116	آل عمران	139	وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ	34
120	آل عمران	69	وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ	35

120	آل عمران	85	وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ	36
13	النساء	71	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ	37
28	النساء	136	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ	38
35	النساء	174	يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ	39
44	النساء	104	وَلَا تَهْذُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ	40
54	النساء	66	وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَدُوا مَا يُوعِظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ	41
62	النساء	71	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ	42
67	النساء	84	فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ	43
74	النساء	69	وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ	44
80	النساء	174	يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ	45
98	النساء	83	وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ	46
83	المائدة	2	وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ	47
122	المائدة	3	الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ	48
78	الأنعام	18	وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ	49
3	الأعراف	128	قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا	50
74	الأعراف	43	وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ	51
76	الأعراف	43	أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ	52

			أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ	
1	الأنفال	65	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ	53
14	الأنفال	9	إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَأَسْتَجِبْ لَكُمْ	54
34، 16	الأنفال	60	وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطٍ	55
21	الأنفال	45	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَأَثْبِتُوا	56
35	الأنفال	24	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ	57
52	الأنفال	16-15	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا	58
53	الأنفال	47-45	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ فِئَةً فَأَثْبِتُوا	59
55	الأنفال	45	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ فِئَةً فَأَثْبِتُوا	60
62	الأنفال	30	وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ	61
83	الأنفال	39	وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئَةً وَيَكُونَ الدِّينُ	62
101	الأنفال	12	سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ	63
103	الأنفال	39	وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئَةً وَيَكُونَ الدِّينُ	64
52، 45	التوبة	14	قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمُ	65
39	التوبة	52	قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ	66
41	التوبة	36	وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَأَنَّهُمْ كَافَّةٌ كَمَا	67

43	التوبة	24	قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ	68
46	التوبة	38	أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا	69
73، 42	التوبة	111	إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ	70
90	التوبة	101	وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنافِقُونَ وَمِنَ أَهْلِ	71
94	التوبة	119	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ	72
106	التوبة	120	وَلَا يَنَالُونَ مِنَ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ	73
117	التوبة	51	قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا	74
11	يونس	62	أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ	75
48	هود	49	فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ	76
57، 51	هود	120	وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ	77
76	هود	108	وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا	78
34	يوسف	87	وَلَا تَيَاسُؤْا مِنْ رُوحِ اللَّهِ	79
79	يوسف	21	وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِن أَكْثَرَ النَّاسِ	80
24	الرعد	38	لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ	81
88	الحجر	6	وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ	82
28	النحل	97	مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ	83
64، 43	النحل	61	فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً	84
51	النحل	53	وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ	85

55	النحل	102	قل نزله روح القدس من ريك	86
20	الإسراء	82	وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ	87
79، 44	الإسراء	9	إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِّلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ	88
70	الإسراء	34	وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا	89
119	الإسراء	32	ولا تقربوا الزنا إنه كان	90
71	مريم	71	وَإِن مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ	91
29	طه	124-123	فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلَّ وَلَا يَشْقَى	92
47	الأنبياء	73	وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا	93
44	الحج	77	وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ	94
65	الحج	40	وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدَمْتُ صَوَامِعُ	95
21	النور	50-48	وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ	96
25	النور	55	وعد الله الذين آمنوا منكم	97
88	الفرقان	5	وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا	98
109	الفرقان	8-7	وَقَالُوا مَا لِيَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي	99
50	القصص	54	أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا	100
89	القصص	83	تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا	101
89، 49	العنكبوت	3-2	أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ	102

			يُتْرِكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا	
81	العنكبوت	45	إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ	103
47	السجدة	24	وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا	104
77	السجدة	17	فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أَخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ	105
21	الأحزاب	32	يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ	106
24	الأحزاب	16	قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ	107
43	الأحزاب	23	مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ	108
57	الأحزاب	71	وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً	109
72	الأحزاب	13	وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ	110
100	الأحزاب	70	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً	111
11	الصفات	173-171	وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ	112
88	ص	4	وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ	113
48، 22	الزمر	10	إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ	114
42	غافر	51	إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا	115
118	الجاثية	18	ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا	116

58	الأحقاف	35	فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوْلَاؤَا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ	117
42	محمد	4	فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ	118
59	محمد	21-20	فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ	119
42،43	الفتح	10	إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ	120
42	الحجرات	9	وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا	121
97	الحجرات	6	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا	122
21	الذاريات	56	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ	123
66	الرحمن	26	كُلٌّ مِّنْ عَلَيْهَا فَانِ	124
52	الحديد	23-22	مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي	125
65	الحديد	20	اعْلَمُوا أَنَّمَا الْخِطَابَةُ	126

			الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ	
33 ، 17	المنافقون	8	وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ	127
82،34	الملك	15	هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا	128
89	القلم	9	وَدَّوَا لَوْ تَدَّهِنُ فَيُدْهِنُونَ	129
64	الأعلى	17	وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى	130
50	البلد	4	لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ	131
51	الشرح	6-5	فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا	132
43	البينة	5	وَمَا أَمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنْفَاءَ	133
50	العصر	3-1	وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا	134

فهرس الأحاديث الشريفة

الرقم	طرف الحديث الشريف	الصفحة
1	إجتنبوا السبع الموبقات	67
2	إذا صار أهل الجنة	77
3	ارم فداك أبي	1
4	الحرب خدعة	14
5	الرجل يقاتل للمغنم	15
6	اللهم إني أعوذ بك من الجبن	68
7	اللهم إني أعوذ بك من العجز	67
8	المؤمن القوي خير	66
9	إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة	77
10	إن الله تعالى قال: من عادى	27
11	إن الله زوى لي الأرض	56
12	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ سيفاً	70
13	أهجم أو هاجهم	107
14	خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق	68
15	سدّدوا وقاربوا وأبشروا	76
16	سدّدوا وقاربوا واعلموا	75
17	كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس	69
18	كان بالمدينة فزع	69
19	كفى بالمرء كذباً	98
20	لا تمنوا لقاء العدو	53
21	لا يقاتلهم اليوم رجل	114، 53
22	لما كان يوم بدر	14
23	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً	98
24	نصرت بالرعب	101
26	وإذا لقيتموهم فاصبروا	53، 48
27	وعزتي لا اجمع	27
28	ولينزعن الله من صدور عدوكم	47، 24
30	يوشك الأمم	14

التعريف بالمعارك والمواقع

1. أحد:

"حدثت في يوم السبت، لسبع خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً، واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن أم مكتوم"⁽¹⁾.

2. بدر:

"ماء مشهور بين مكة والمدينة، ويقال أنه ينسب إلى بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة، وقيل بل هو رجل من بني ضمرة، سكن هذا الموضع فنسب إليه ثم غلب اسمه عليه، وبهذا الموقع كانت الوقعة المشهورة التي أظهر الله بها الإسلام وفرق بين الحق والباطل في شهر رمضان سنة اثنتين للهجرة، وقد نسب إلى بدر جميع من شهدها من الصحابة الكرام"⁽²⁾.

3. برك الغماد:

"وهو موضع وراء مكة بخمس ليالٍ مما يلي البحر، وقيل بلد باليمن"⁽³⁾.

4. تبوك:

"موضع بين وادي القرى والشام، ولقد توجه النبي صلى الله عليه وسلم في سنة تسع للهجرة إلى تبوك من أرض الشام، وهي آخر غزواته"⁽⁴⁾.

5. الجزيرة العربية:

"وقد اختلف في تحديدها، وأحسن ما قيل فيها أن العرب اقتسمت جزيرتها على خمسة أقسام، وإنما سميت بلاد العرب جزيرة لإحاطة الأنهار والبحار بها من جميع أقطارها وأطرافها، فصاروا منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر"⁽⁵⁾.

(1) الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر: المغازي. تحقيق: د. مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت: (د.ط)، دت) مج1، ص199.

(2) الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان. دار صادر، بيروت: (د. ط)، (1376هـ - 1957م)، مج1، ص357-358.

(3) (المرجع السابق)، مج1، ص399.

(4) (المرجع السابق)، مج2، ص15.

(5) (المرجع السابق)، مج2، ص136.

6. حُنَيْن:

"معركة نشبت بين المسلمين من ناحية، والمشركين من ناحية أخرى عند حنين وهو واد بين مكة والطائف، بُعيد فتح مكة مباشرة عام (8هـ - 630م)، وانقضّ المسلمون على المشركين فهزموهم هزيمة منكرة"⁽¹⁾.

"وفي هذه المعركة خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم أهل مكة لم يتأخر منهم كبير أحد، ركبانا ومشاة، حتى خرج معه النساء يمشين"⁽²⁾.

7. الخندق:

"معركة دارت رحاها عام (5هـ - 627م) بين المسلمين وجيش ضخم وجّهته قريش إلى المدينة المنورة لمقاتلتهم، وإذ كانت المدينة محاطة من جهات ثلاث بصفوف متصلة من المنازل، ولم تكن مفتوحة إلا من جهة الشمال، فقد سارع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى إصدار الأمر بناء على اقتراح سلمان الفارسي بأن يُحفر في تلك الجهة خندق عريض يقيه وجنوده هجمات الفرسان القرشيين، ومن أجل ذلك، دبّ الاضطراب في صفوف المغيرين، وكُتب النصر للرسول صلى الله عليه وسلم"⁽³⁾.

8. اليرموك:

"كانت في رجب سنة خمس عشرة، وذكر أن سقلاب الخص كان على الروم يومئذ في مائة ألف، وعلى المقدمة جرجه - من أرمينية- في اثني عشر ألفاً، ومن المستعربة اثني عشر ألفاً عليهم جبلة بن الأيهم، والمسلمون في أربعة وعشرين ألفاً، فقاتلوا قتالاً شديداً حتى قاتلت النساء من ورائهم أشد قتال"⁽⁴⁾.

(1) البعلبكي، منير: موسوعة المورد العربية. دار العلم للملايين، بيروت: ط1، (1990م)، مج1، ص452.

(2) انظر: ابن علي، تقي الدين احمد: إمتاع الأسماع. صححه وشرحه: محمود محمد شاكر، (د، ط)، (1941م)، ج1، ص402-403.

(3) البعلبكي: موسوعة المورد العربية. مج1، (مرجع سابق)، ص473.

(4) ابن كثير: البداية والنهاية. مج4، ج7، (مرجع سابق)، ص4-5، بتصرف.

التعريف بالأعلام

1. أنس بن مالك - رضي الله عنه:-

"أبو حمزة أنس بن مالك ابن النضير بن ضمضم الأنصاري المدني، الإمام المفتي، المقرئ المحدث، راوية الإسلام، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقرابته من النساء، وتلميذه، وتبعه، وآخر أصحابه موتاً⁽¹⁾.

2. البراء بن عازب - رضي الله عنه:-

"أبو عمارة البراء بن عازب الأنصاري الحارثي المدني، من أعيان الصحابة، شهد غزوات كثيرة مع النبي صلى الله عليه وسلم، واستُصغر يوم بدر، توفي سنة اثنتين وسبعين وقيل سنة إحدى وسبعين عن بضع وثمانين سنة"⁽²⁾. "وكان شجاعاً، قتلَ مائة مبارزة"⁽³⁾.

3. ثوبان - رضي الله عنه:-

"أبو عبد الله ثوبان، أصابه سبأ، فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه، فلم يزل معه حتى قُبض، ثم نزل حمص فمات سنة أربع وخمسين، وكان ثوبان يقع سوطه وهو راكب فلا يقول لأحد ناولنيه حتى ينزل فيتناولوه"⁽⁴⁾.

4. جابر بن عبد الله - رضي الله عنه:-

"أبو عبد الله جابر بن عبد الله، شهد العقبة مع السبعين، وكان أصغرهم يومئذ.

قال: أقبلت غير يوم الجمعة ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانفتل الناس فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلاً أنا فيهم، توفي جابر سنة ثمان وسبعين بالمدينة بعد أن ذهب بصره"⁽⁵⁾.

(1) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء. تحقيق: د. محمد أسعد طلس، دار المعارف، مصر: (د.ط.)، (د.ت.)، ج3، ص265.

(2) المرجع السابق، ج3، ص 129-130.

(3) ابن الجوزي: صفة الصفوة. مج1، (مرجع سابق)، ص624.

(4) المرجع السابق، مج1، ص 670-671، بتصرف.

(5) ابن الجوزي: صفة الصفوة. مج1، (مرجع سابق)، ص648 - 649.

5. حسان بن ثابت - رضي الله عنه-:

"أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري، شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم"⁽¹⁾.

6. خويلد بن عمرو - رضي الله عنه-:

"أبو شريح خويلد بن عمرو الخزاعي الكعبي، واختلفوا في اسمه، فقيل: اسمه كعب بن عمرو، وقيل عمرو بن خويلد، والأكثر يقولون: خويلد بن عمرو، أسلم قبل فتح مكة، وتوفي بالمدينة سنة ثمان وستين"⁽²⁾.

7. زيد بن أرقم - رضي الله عنه-:

صحابي خزرجي أنصاري، غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع عشرة غزوة، وشهد صفين مع علي بن أبي طالب - رضي الله عنه-، وله في كتب الحديث 70 حديثاً⁽³⁾. ونزل الكوفة وسكنها وابتنى بها داراً وبها كانت وفاته في سنة ثمان وستين⁽⁴⁾.

8. زيد بن ثابت - رضي الله عنه-:

"أبو خارجة زيد بن ثابت ابن الضحاك الأنصاري، كان كاتب الوحي، ولد في المدينة ونشأ بمكة وُقِّتل أبوه وهو ابن ست سنين. تعلم وتفقه في الدين فكان رأساً بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض"⁽⁵⁾.

(1) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد: الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تحقيق: علي محمد الجاوي، دار الجيل، بيروت: مج1، ط1، 1412 هـ - 1992م)، ص 341.

وانظر: الزركلي: الأعلام. ج2، (مرجع سابق)، ص188.

(2) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب. مج2، (مرجع سابق)، ص455.

(3) الزركلي: الأعلام. ج3، (مرجع سابق)، ص95، بتصريف.

(4) البغدادي، عبدالقادر بن عمر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. المطبعة الميرية، بولاق، مج1، ط1، (د.ت)، ص363.

(5) الزركلي: الأعلام. ج3، (مرجع سابق) ص95.

9. سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:-

"أبو اسحاق، سعد بن أبي وقاص الصحابي الأمير، فاتح العراق ومدائن كسرى، أول من رمى بسهم في سبيل الله تعالى، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ويقال له فارس الإسلام. أسلم وهو ابن 17 سنة، وشهد بدرًا وافتتح القادسية ونزل أرض الكوفة فجعلها خطياً لقبائل العرب مدة عمر بن الخطاب رضي الله عنه-، وأقره عثمان بن عفان رضي الله عنه- زمناً ثم عزله، فعاد إلى المدينة، فأقام قليلاً ثم فقد بصره، مات في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة- وحُمل إليها، له في كتب الحديث 271 حديثاً"⁽¹⁾.

10. سعد بن مالك رضي الله عنه:-

"أبو سعيد الخدري سعد بن مالك بن سنان، استُصغر يوم أُحد فرُدَّ، فخرج فيمن يتلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رجع من أُحد، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: سعد بن مالك؟ قال: قلت: نعم بأبي وأمي أنت. قال: فدنوت منه فقَبِلت ركبتيه فقال: أجزك الله في أبيك، وكان قد قُتل يومئذ شهيداً، ثم شهد أبو سعيد الخندق وما بعدها"⁽²⁾.

"وكان من ملازمي النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنه أحاديث كثيرة، وله 1170 حديثاً، توفي في المدينة"⁽³⁾.

11. سليم مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه:-

"أبو كبشة سليم، قيل كان من موالي مكة، وقيل كان من مؤلدي أرض دوس، اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقه، وشهد بدرًا والمشاهد كلها، وتوفي يوم استُخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه- سنة ثلاث عشرة"⁽⁴⁾.

(1) الزركلي: الأعلام. ج3، (مرجع سابق)، ص138.

(2) ابن الجوزي: صفة الصفة. ج1، (مرجع سابق)، ص714.

(3) الزركلي، الأعلام، ج3، (مرجع سابق)، ص138.

(4) ابن الأثير، عز الدين، أبو الحسن علي بن محمد: الكامل في التاريخ. مج2، (د. ط)، بيروت: دار صادر.

(1385هـ - 1965م)، ص312.

12. سِمَاكُ بْنُ خَرِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:-

"أبو دجانة سِمَاكُ بْنُ خَرِشَةَ، شَهِدَ بَدْرًا وَأُحَدَاً، وَتَبَيَّنَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ، وَبَايَعَهُ عَلَى الْمَوْتِ، قُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ"⁽¹⁾.

13. عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:-

"أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ فِي شَوَّالٍ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِسَنْتَيْنِ، وَقِيلَ بِثَلَاثِ، وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ سَنِينَ، وَبَنَى بِهَا بِالْمَدِينَةِ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سَنِينَ، وَبَقِيَتْ عِنْدَهُ تِسْعَ سَنِينَ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ بَكَرًا غَيْرَهَا"⁽²⁾.

14. عِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:-

"أَبُو الْوَلِيدِ عِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ بْنِ قَيْسِ الْأَنْصَارِيِّ، صَحَابِيُّ مِنَ الْمُوصُوفِينَ بِالْوَرَعِ، مَاتَ فِي الرَّمْلَةِ، كَانَ مِنْ سَادَاتِ الصَّحَابَةِ"⁽³⁾.

"أُمُّهُ: قُرَّةُ الْعَيْنِ بِنْتُ عِبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ وَأَخَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ"⁽⁴⁾. "وَهُوَ أَحَدُ النِّقْبَاءِ لَيْلَةَ الْعَقْبَةِ، شَهِدَ بَدْرًا فَمَا بَعْدَهَا، وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"⁽⁵⁾.

"وَقَالَ الْإِمَامُ السِّيُوطِيُّ أَنَّهُ شَهِدَ الْعَقْبَتَيْنِ"⁽⁶⁾.

(1) ابن الجوزي: *صفة الصفوة*. مج1، (مرجع سابق)، ص485.

(2) ابن الجوزي: *صفة الصفوة*. مج2، (مرجع سابق)، ص15.

(3) الزركلي: *الأعلام*. ج4، (مرجع سابق)، ص30.

(4) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد: *أسد الغابة في معرفة الصحابة*. مج3. (د. ط.). (د. ت.). ص106.

(5) العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (المعروف بابن حجر): *تهذيب التهذيب*. مج5. ط1. (د. ت.). ص111.

(6) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: *حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

دار إحياء الكتب العربية. ج1. ط1. (1387هـ-1967م). ص211.

15. عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه:-

"أبو معاوية عبد الله بن أبي أوفى بن خالد الأسلمي، وقيل أبا إبراهيم، وقيل أبا محمد، شهد الحديبية وخيبر وما بعد ذلك من المشاهد، وهو آخر من بقي بالكوفة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، مات سنة سبع وثمانين بالكوفة"⁽¹⁾.

16. عبد الله بن رواحة - رضي الله عنه:-

"أبو محمد عبد الله بن رواحة بن ثعلبة، أمه كبشة بنت واقد، وليس له عقب، وكان يكتب في الجاهلية، وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وهو أحد النقباء الأثني عشر، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق والحديبية وخيبر، واستخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة حين خرج إلى غزوة بدر الموعود"⁽²⁾. وهو الذي أنشد:

"لكنني أسأل الرحمن مغفرةً
وضربةً ذات فرغ يقذف الكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جسدي
أرشدك الله من غازٍ وقد رشدا"⁽³⁾.

17. عبد الله بن عامر رضي الله عنه:-

"أبو هريرة عبد الله بن عامر، واختلفوا في اسمه واسم أبيه، وأشهرها عبد شمس بن عامر، فسمي في الإسلام عبد الله، وكان له هرة صغيرة فكني بها، وقدم المدينة في سنة سبع، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر، فسار إلى خيبر حتى قدم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة. بكى في مرضه فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أما إنه ما أبكي على دنياكم هذه، ولكن

(1) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب. مج3. (مرجع سابق). ص870.

(2) ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع: الطبقات الكبرى. مج3. (د. ط.). بيروت: دار صادر. (1377هـ - 1957م). ص225-226.

(3) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك. مج1. (د. ط.). القاهرة: مطبعة الاستقامة. (1357هـ - 1939م) ص319. بتصرف.

أبكي على بُد سَفري وقلّة زادي، توفي أبو هريرة بالمدينة سنة سبع وخمسين، وقيل سنة تسع، وله ثمانٌ وسبعون سنة⁽¹⁾.

18. عبد الله بن عثمان -رضي الله عنه-:

"أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان بن عامر، واسم أمه أم الخير سلمى بنت صخر، ماتت مسلمة، كان له من الولد: عبد الله وأسماء وعبد الرحمن وعائشة ومحمد وأم كلثوم، وقد شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا وجميع المشاهد، وهو أول من جمع القرآن، وتنزّه عن شرب المسكر في الجاهلية والإسلام، وهو أول من قاء تحرُّجًا من الشبهات توفي سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستين⁽²⁾.

19. عبد الله بن عمر -رضي الله عنه-:

"أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي المكي ثم المدني، الإمام القدوة، شيخ الإسلام، أسلم وهو صغير، واستصغر يومَ أحد، وأول غزواته الخندق، وهو ممن بايع تحت الشجرة⁽³⁾.

20. عبد الله بن قيس -رضي الله عنه-:

"أبو موسى عبد الله بن قيس بن سليم الأشعري، أسلم بمكة، وهاجر إلى أرض الحبشة، ثم قدم مع السفينتين - وهما اللتان حملتا المسلمين من الحبشة - فقدموا على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر بعد الحديبية، وبعضهم ينكر هجرته إلى الحبشة. توفي أبو موسى سنة اثنتين وخمسين، وقيل اثنتين وأربعين، وقيل أربع وأربعين، ودفن بمكة، وقيل بالثويّة على ميلين من الكوفة⁽⁴⁾.

(1) ابن الجوزي: صفة الصفوة. مج 1. (مرجع سابق). ص 685-694. بتصرف.

(2) المرجع السابق. مج 1. ص 235-267. بتصرف.

(3) الذهبي: سير أعلام النبلاء. ج 3. (مرجع سابق). ص 134-135.

(4) ابن الجوزي: صفة الصفوة. مج 1. (مرجع سابق). ص 556-562. بتصرف.

21. عمر بن الخطاب - رضي الله عنه:-

"أبو حفص عمر بن الخطاب العدوي، وهو أمير المؤمنين، الخليفة الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الصادق الملمح"⁽¹⁾. "أمّه حننمة بنت هاشم بن المغيرة، وُلد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، وهو أول من اتخذ الدرّة، وكان نقشُ خاتمه "كفى بالموت واعظاً يا عمر" واختُلف في سنّ عمر، فقيل: توفي ابن ثلاث وستين سنة كسنّ النبي صلى الله عليه وسلم وسنّ أبي بكر - رضي الله عنه - حين توفياً، وعن ابن عمر قال: توفي عمر وهو ابن بضع وخمسين سنة"⁽²⁾. "وكان قد أسلم وهو ابن ست وعشرين سنة بعد أربعين رجلاً"⁽³⁾.

22. عمرو بن ميمون - رضي الله عنه:-

"أبو عبد الله عمرو بن ميمون الأوديّ، أدرك النبيّ صلى الله عليه وسلم، وهو معدود من كبار التابعين من الكوفيين"⁽⁴⁾. "وقد حجّ مائة حجة وعمره، وقيل ستين حجة وعمره، توفي سنة أربع أو خمس وسبعين من الهجرة"⁽⁵⁾.

23. عمير بن الحمام - رضي الله عنه:-

"عمير بن الحمام بن الجموح بن زيد الأنصاري، شهد بدرًا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آخى بينه وبين عبيدة بن الحارث - رضي الله عنه - فقتلا يوم بدر جميعاً، وقيل إنه أول قتيل قتل من الأنصار في الإسلام، وُروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوم بدر إلى الناس فحرّضهم وقال: والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجلٌ فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة، فقال عمير بن الحمام وفي يده تمرات يأكلهن: بخ

(1) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: طبقات الحفاظ. مراجعة وضبط: مجموعة من العلماء. ط2.

بيروت: دار الكتب العلمية. (1414هـ-1994م). ص13. بتصرف.

(2) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب. مج3. (مرجع سابق). ص1144-1155. بتصرف.

(3) ابن الجوزي: صفة الصفوة. مج1. (مرجع سابق). ص273.

(4) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب. مج3. (مرجع سابق). ص1205.

(5) ابن الجوزي: صفة الصفوة. مج3. (مرجع سابق). ص35.

بخ! فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء، ففذف التمر في يده، وأخذ السيف، فقاتل القوم حتى قتل وهو يقول:

ركضاً إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمِل المعاد
والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرَّشاد " (1)

24. المقداد بن عمرو - رضي الله عنه:-

"أبو معبد، المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك، شهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أول من عدا به فرسه في سبيل الله، وعن علي رضي الله عنه - قال: ما كان فينا فارس يوم بدر تغير المقداد " (2).

25. الوليد بن عقبة - رضي الله عنه:-

"أبو وهب الوليد بن عقبة بن أبي المعيط الأموي القرشي، من فتيان قريش وشعرائهم وأجوادهم، وهو أخو عثمان بن عفان رضي الله عنه - لأمه. أسلم يوم فتح مكة، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات بني المصطلق، ولما قتل عثمان تحول الوليد إلى الجزيرة الفراتية، فسكنها واعتزل الفتنة" (3).

(1) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب. مج3. (مرجع سابق). 1214.

(2) ابن الجوزي: صفة الصفوة. مج1. (مرجع سابق). ص423-424.

(3) الزركلي: الأعلام. ج9. (مرجع سابق). ص143. بتصرف.

فهرس الأعلام

الرقم	العلم	الصفحة
1	أنس بن مالك	53
2	البراء بن العازب	135، 107
3	ثوبان -مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم-	135، 24
4	جابر بن عبد الله	135، 101
5	حسان بن ثابت	136، 107
6	خالد بن الوليد	110، 73، 63
7	خويلد بن عمرو	136
8	زيد بن أرقم	136، 67
9	سعد بن أبي وقاص	136، 67
10	سعد بن مالك	137
11	سليم -مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم-	137
12	سماك بن خرشة	137
13	عائشة بنت أبي بكر الصديق	138، 70
14	عبادة بن الصامت	138، 54
15	عبد الله بن أبي أوفى	139، 48
16	عبد الله بن رواحه	107، 71
17	عبد الله بن عامر	139
18	عبد الله بن عثمان	140
19	عبد الله بن عمر	140، 19
20	عبد الله بن قيس	140
21	عمر بن الخطاب	137
22	عمرو بن ميمون	141، 67
23	عمير بن الحمام	141، 53
24	المقداد بن عمرو	142، 23

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: تفسير القرآن الكريم:

ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم. (د. ط). بيروت: دار المعرفة. 1388هـ. 1969م.

أبو السعود، محمد بن محمد العمادي: تفسير أبي السعود أو "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم". (د. ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي. (د. ت).

أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي: البحر المحيط. ط2. بيروت: دار الفكر. 1398هـ. 1978م.

الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. (د. ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي. (د. ت).

البرسوي، اسماعيل حقي: تفسير روح البيان. (د. ط). 1926م.

البغوي، أبو محمد حسين بن مسعود الفراء: تفسير البغوي المسمّى "معالم التنزيل". ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1414هـ. 1993م.

البيضاوي، أبو سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل. (د. ط) بيروت: مؤسسة شعبان. (د. ت).

تعلياب، عبد المنعم أحمد: فتح الرحمن في تفسير القرآن. ط1. بيروت: دار السلام. 1416هـ. 1995م.

الثعالبي، سيدي عبد الرحمن بن محمد: الجواهر الحسان في تفسير القرآن. تحقيق: أبو محمد الغماري. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1416هـ. 1996م.

الجمال، محمد عبد المنعم: التفسير الفريد للقرآن المجيد. (د. ط). (د. ت).

حوّى، سعيد: الأساس في التفسير. ط1. القاهرة: دار السلام. 1405هـ. 1985م.

الخازن، علاء الدين علي بن محمد البغدادي: **لُباب التّأويل في معاني التنزيل**. ضبطه وصححه: عبد السلام محمد علي شاهين. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1415هـ. 1995م.

دروزة، محمد عزة: **التفسير الحديث**. (د. ط.). (د. ت.).

الرازي، فخر الدين محمود: **التفسير الواضح**. ط2. طهران: دار الكتب العلمية. (د. ت.).

الزحيلي، وهبه: **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**. ط1. دمشق: دار الفكر المعاصر. بيروت- دار الفكر. 1411 هـ- 1991م.

شعراوي، محمد متولي: **تفسير الشعراوي**. (د. ط.). أخبار اليوم 14011هـ- 1991م.

شلتوت، محمود: **تفسير القرآن الكريم**. ط6. بيروت: دار الشروق. 1394هـ- 1974م.

الشوكاني، محمد بن علي: **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**. (د. ط.). بيروت: دار الفكر. (د. ت.).

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: **جامع البيان عن تأويل القرآن**. تحقيق: محمود أحمد شاكر. (د. ط.). مصر: دار المعارف. (د. ت.).

عبد العزيز، أمير: **تفسير سورة البقرة**. ط1. بيروت: دار الفرقان. 1405هـ- 1985م.

عبد العزيز، أمير: **التفسير الشامل للقرآن الكريم**. ط1. فلسطين: دار السلام. 1420هـ - 2000م.

القاسمي، جمال الدين محمد: **محاسن التأويل**. تحقيق: احمد بن علي. وحمد صبح. (د. ط.). القاهرة: دار الحديث. 1424 هـ- 2003م.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري: **الجامع لأحكام القرآن**. (د. ط.). بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1965 م.

قطب، سيد: **في ظلال القرآن**. ط15. بيروت: دار الشروق. 1988م.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيبا البصري: **النكت والعيون** "تفسير الماوردي".
راجعه وعلّق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم. (د. ط). بيروت: دار
الكتب العلمية. (د. ت).

المراغي، أحمد مصطفى: **تفسير المراغي**. ط3. دار إحياء التراث العربي. بيروت:
1394هـ-1974م.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد: **تفسير النسفي المسمى "بمدارك التنزيل وحقائق
التأويل"**. (د. ط). دار الكتاب العربي. (د. ت).

النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد: **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان**. ط1.
بيروت: دار الكتب العلمية. 1416هـ-1996م.

ثالثاً: علوم القرآن الكريم والقصص القرآني:

الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: **المفردات في غريب القرآن**. (د. ط). بيروت: دار
المعرفة. (د. ت).

البناء، حسن: **نظرات في القرآن**. ط1. القاهرة: مكتبة الاعتصام. 1399هـ-1979م.

بيومي، محمد: **قصص القرآن**. ط1. المنصورة: مكتبة الإيمان. 1420هـ-1999م.

الجزائري، أبو بكر حامد: **نداءات الرحمن لأهل الإيمان**. ط2. المدينة المنورة: مكتبة العلوم
والحكم. 1417هـ-1996م.

الجسماني، عبد العلي: **القرآن وعلم النفس**. ط1. 1417هـ-1997م.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح: **المنهج الحركي في ظلال القرآن**. ط1. جدة: دار المنارة.
1406هـ-1986م.

شديد، محمد: **منهج القرآن في التربية**. (د. ط). بيروت: مؤسسة الرسالة. (د. ت).

عميرة، عبد الرحمن: **منهج القرآن في تربية الأجيال**. ط1. بيروت: دار الجيل. 1411هـ-
1991م.

المولى، محمد أحمد جاد: **قصص القرآن**. تحقيق: جمال محمد علي الشقيري. (د. ط). عمان: مكتبة دار الثقافة . 1418هـ - 1997م.

النحلاوي، عبد الرحمن: **التربية بالآيات**. ط1. بيروت: دار الفكر. 1409هـ. 1989م.

ياسين. عبد الله: **التربية الإسلامية في ظلال القرآن**. ط1. عمان: دار الأرقم. وبيروت: دار القبس. 1403هـ - 1983م.

رابعاً: علوم الحديث الشريف، والسيرة النبوية الشريفة:

ابن الاثير، المبارك بن محمد الجزري: **النهاية في غريب الحديث والأثر**. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي. أحمد الطناحي. (د.ط). المكتبة الإسلامية. (د.ت).

ابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر: **زاد المعاد في هدي خير العباد**. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية. (د.ت).

ابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر: **الطب النبوي**. تحقيق: عبد الغني عبد الخالق. (د.ط). دار إحياء التراث العربي. بيروت: (د.ت).

ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن شهاب الدين: **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**. تحقيق: شعيب الارناؤوط. إبراهيم باجس. ط7. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1419هـ - 1998م.

ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر: **شمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه**. (د.ط). بيروت: دار المعرفة. (د.ت).

أبو فارس، محمد عبد القادر: **السيرة النبوية**. ط1. عمان: دار الفرقان. 1418هـ - 1997م.

الألباني، محمد ناصر الدين: **سلسلة الأحاديث الصحيحة**. (د. ط). المكتب الإسلامي. (د. ت).

البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة: **صحيح البخاري**. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ط). الرياض: بيت الأفكار الدولية. 1419هـ - 1988م.

- البستي، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد: **صحيح ابن حبان**. تحقيق: شعيب الارناؤوط. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1414هـ - 1993م.
- البوطي، محمد سعيد رمضان: **فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة**. ط11. بيروت: دار الفكر المعاصر. 1417هـ - 1996م.
- السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث: **سنن أبي داود**. تحقيق: محيي الدين عبد الحميد. (د.ط.). بيروت: دار إحياء التراث العربي. (د.ت.).
- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن: **الروض الأتف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام**. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد. (د.ط.). القاهرة: مؤسسة مختار. (د.ت.).
- عبيد، محمد عايش، **تغريدة السيرة النبوية**. (د.ط.). (د.ت.).
- العسقلاني، أحمد بن علي (المشهور بابن حجر): **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د.ط.). بيروت: دار المعرفة. (د.ت.).
- المباركفوري، صفي الرحمن: **الرحيق المختوم**. (د.ط.). بيروت: دار إحياء التراث العربي. (د.ت.).
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: **صحيح مسلم**. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط1. دار إحياء المكتبة العربية. 1413هـ - 1993م.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين بن شرف: **صحيح مسلم بشرح النووي**. ط2. بيروت: دار الفكر. 1392هـ - 1972م.
- الهيثمي، علي بن أبي بكر: **مجمع الزوائد**. (د.ط.). القاهرة: دار الريان. بيروت: دار الكتاب العربي. 1407هـ.
- هيكل، محمد حسين: **حياة محمد صلى الله عليه وسلم**. ط15. 1968م.
- وجدى، محمد فريد: **السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة**. ط1. الدار المصرية اللبنانية. 1413هـ - 1993م.

خامساً: العقيدة الإسلامية:

- ابن تيمية، تقي الدين أحمد: **العبودية في الإسلام**. ط3. القاهرة: المطبعة السلفية. 1398هـ.
- ابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر: **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**. ط1. المنصورة: مكتبة الإيمان. 1417هـ - 1996م.
- ابن الجميل، محمود: **وصف الجنة والنار**. القاهرة: مكتبة الصفا. 1422هـ - 2002م.
- الحمصي، محمد حسن: **الإيمان بالله جلّ جلاله**. (د.ط.). دمشق: دار الرشيد. (د.ت.).
- خطاب، محمود شيت: **بين العقيدة والقيادة**. ط1. بيروت: دار الفكر. 1392هـ - 1984م.
- الخطيب، محمد أحمد، ومحمد عوض الهزايمة: **دراسات في العقيدة الإسلامية**. ط1. عمان: دار عمار. 1410هـ - 1990م.
- الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد: **الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات**. دراسة وتحقيق: دغش بن شبيب العاجمي. ط1. الكويت: دار الإمام أحمد. 1412هـ - 2000م.
- الشريفة، محمد حافظ: **مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية**. ط1. 1404هـ - 1984م.
- الشعراوي، محمد متولي: **أوصاف أهل الجنة**. (د.ط.). القاهرة: دار الروضة. (د.ت.).
- الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن سلامة الأزدي: **أصول العقيدة الإسلامية**. شرح العلامة: علي بن أبي العز الأذرعي. اختصره: عبد المنعم صالح العزي. ط1. مكتبة الإخاء. قلقيلية. 1401هـ - 1981م.
- عزام، عبد الله: **العقيدة وأثرها في بناء الجيل**. ط3. عمان: مكتبة الأقصى. 1400هـ - 1980م.
- الغزالي، محمد: **عقيدة المسلم**. ط4. مصر: دار التوفيق النموذجية 1404هـ - 1984م.

القصري، أبو محمد عبد الجليل بن موسى: **شعب الإيمان**. تحقيق: أيمن صالح شعبان. وسيد أحمد اسماعيل. ط1. القاهرة: دار الحديث. 1417هـ - 1996م.

سادساً: **التاريخ الإسلامي:**

ابن الاثير الشيباني، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**. ط1. (د.ت).

ابن الاثير الشيباني، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد: **الكامل في التاريخ**. (د.ط). مصر: مطبعة النهضة. (د.ت).

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي: **صفة الصفوة**. حققه وعلق عليه: محمود فاخوري. ط2. بيروت: دار المعرفة. 1399هـ - 1979م.

ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. (د. ط). بيروت: دار الآفاق الجديدة. (د. ت).

ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف الاتاكي: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. ط1. دار الكتب المصرية. 1357هـ - 1938م.

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع: **الطبقات الكبرى**. (د. ط). بيروت: دار صادر. 1377هـ - 1957م).

أبن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد: **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**. تحقيق: علي محمد الجاوي. ط1. بيروت: دار الجيل. 1412هـ - 1992م.

ابن علي، تقي الدين أحمد: **إمتاع الأسماع**. صححه وشرحه: محمود محمد شاكر. (د. ط). 1941م).

ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر: **البداية والنهاية**. (د.ط). بيروت: دار الفكر. (د. ت).

خطاب، محمود شيت: **خالد بن الوليد المخزومي**. ط3. بيروت: دار الفكر. 1398هـ - 1978م.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء. تحقيق: محمد أسعد طلس. (د.ط). مصر: دار المعارف. (د.ت).
- زايد، عبد اللطيف: اقتباس النظام العسكري في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. (د.ط). (د.ت).
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: تاريخ الخلفاء. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (د.ط). القاهرة: دار نهضة مصر. 1395هـ - 1975م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط1. دار إحياء الكتب العربية. 1387هـ - 1986م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: طبقات الحفاظ. مراجعة وضبط: مجموعة من العلماء. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية. 1414هـ - 1994م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الطبري. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (د.ط). مصر: دار المعارف. 1962م.
- الطنطاوي، علي: رجال من التاريخ. ط7. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1402هـ - 1982م.
- العسقلاني، أحمد بن علي (المعروف بابن حجر): الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق: علي محمد البجاوي. (د.ط). مصر: مطبعة النهضة. (د.ت).
- العسقلاني، أحمد بن علي (المعروف بابن حجر): تهذيب التهذيب. ط1. (د.ت)
- العقاد، عباس محمود: عبقرية خالد. (د.ط). مصر: دار الهلال. (د.ت)
- الكتبي، محمد بن شاكر بن محمد: فوات الوفيات. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. (د.ط). القاهرة: مكتبة النهضة. (د.ت).
- الواقدي أبو عبد الله محمد بن عمر: المغازي. تحقيق: د. مارسدن جونس. (د.ط). بيروت: عالم الكتب. (د.ت).

سابعاً: الدعوة والتربية والفكر والسياسة:

ابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر: **إعلام الموقعين عن رب العالمين**.
مراجعة: طه عبد الرؤوف سعد. (د. ط.). بيروت: دار الجيل. 1973م.

ابن القيم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر: **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**. (د. ط.). بيروت: دار الكتب العلمية. (د. ت.).

ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد: **العقد الفريد**. (د. ط.). مصر: المطبعة العامرة. 1316م.

بدر، أحمد: **الاتصال بالجماهير بين الإعلام والتطويع والتنمية**. (د. ط.). القاهرة: دار قباء.
1417هـ - 1997م.

بدر، أحمد: **الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية**. ط3. الكويت: وكالة المطبوعات. 1982م.

البغدادي، عبد القادر بن عمر: **خزانة الأدب ولباب لسان العرب**. ط1. المطبعة الميرية.
بولاق. (د. ت.).

التكروري، نواف هائل: **العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي**. ط4. دمشق: دار الفكر.
1423هـ - 1993م.

جابر، حسين بن محسن بن علي: **الطريق إلى جماعة المسلمين**. ط2. الكويت: دار الدعوة.
1406هـ - 1986م.

جرار، حسني أدهم: **من أجل فلسطين (مواقف عبر التاريخ الإسلامي)**. ط1. عمان: مؤسسة
الزيتونة. 1419هـ - 1998م.

جلال، سعيد: **المرجع في علم النفس**. ط3. 1963م.

الجبلاطي، علي، وأحمد محمد حسن: **مع القائد الروحي للشعب سلطان العلماء الإمام العز
بن عبد السلام**. (د. ط.). القاهرة: مكتبة الإنجلو. 1971م.

الجندي، أنور: **ترشيد الفكر الإسلامي**. (د. ط.). دار الاعتصام. (د. ت.)

بدوي، أحمد: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام. (د.ط). بيروت: مؤسسة الرسالة. 1416هـ - 1996م.

حسونه، خليل إبراهيم، والدكتور: مروان حمدان الصالح: الحرب النفسية معركة الكلمة والمعتقد. ط1. غزة: مطبعة ومكتبة الأمل. 2004م.

حسين، جمال محمد أحمد: التربية الإيمانية وأمن المجتمع. ط1. فلسطين: شركة النور للطباعة. 1421هـ - 2001م.

حوامدة، مصطفى محمود: التنشئة الاجتماعية في الإسلام. ط1. الأردن: دار الكندي. 1415هـ - 1994م.

حوّى، سعيد، الإسلام. ط3. بيروت: دار الكتب العلمية. 1401هـ - 1917م.

خطاب، محمود شيت: العسكرية العربية الإسلامية. ط1. بيروت: دار الشروق. 1403هـ - 1983م.

خطاب، محمود شيت: الرسول القائد. ط2. بغداد: مكتبة الحياة ومكتبة النهضة. 1960م.

الدباغ، مصطفى: المرجع في الحرب النفسية. ط1. عمان: دار الفارس. 1998م.

الدباغ، مصطفى: الإقناع فن أم حرب. ط1. عمان: دار الإسرائ. 1997م.

الدغمي، محمد ركان: التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية. ط2. القاهرة: دار الإسلام. 1406هـ - 1985م.

الدمياطي، أبو زكريا أحمد بن إبراهيم الدمشقي (المشهور بابن النحاس): تهذيب كتاب مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق في فضائل الجهاد. هذبه وانتقاه: د.صلاح عبد الفتاح الخالدي. ط1. الأردن: دار النفائس. 1419هـ - 1999م.

الدمياطي، أبو زكريا أحمد بن إبراهيم الدمشقي (المشهور بابن النحاس): مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق. ومثير الغرام إلى دار السلام. ط3. بيروت: دار البشائر الإسلامية. 1432هـ - 2002م.

زيدان، محمد مصطفى: التوجيه الديني والتربوي والنفسي للشباب. مكتبة الأنجلو المصرية. 1992م.

سالم، صلاح: حروب المنطقة العربية. ط1. القاهرة: دار الشروق. 1422هـ - 2001م.
السمان، محمد عبد الله: الإسلام والأمن الدولي. ط2. القاهرة: دار الكتب الحديثة. 1380هـ - 1960م.

سيد عبد الله، معتز: الحرب النفسية والشائعات. (د.ط.). القاهرة: دار غريب. 1997م

الشرباصي، أحمد: موسوعة الفداء في الإسلام. ط1. بيروت: دار الجبل. 1983م.

الصلابي، علي محمد محمد: تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين في القرآن الكريم. ط1.
دار الفجر للتراث. 1424هـ - 2003م.

عبد الله، نصار: نظرية الحرب العادلة. (د.ط.). 1993م.

العفاني، سيد بن حسين: تثبيت أفئدة المؤمنين. بذكر مبشرات النصر والتمكين. ط1.
1420هـ - 2000م.

العقاد، محمود: موسوعة العقاد الإسلامية. (د.ط.). بيروت: دار الكتاب العربي. 1390هـ - 1971م.

عويضه، كامل محمد: علم نفس الإشاعة. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1416هـ - 1996م.

العيسوي، عبد الرحمن: الحرب النفسية والدعائية "دفاعاً وهجوماً". ط1. بيروت: منشورات
الحلبي الحقوقية. 1425هـ - 2004م.

العيسوي، عبد الرحمن: أصول البحث السيكولوجي. (د.ط.). بيروت: دار الراتب الجامعية.
(د.ت.).

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: إحياء علوم الدين. ط1. القاهرة: دار الوثائق. 1420هـ - 2000م

- الغضبان، منير محمد: من معين التربية الإسلامية. ط2. الأردن: مكتبة المنار. 1402هـ — - 1982م.
- الفيضي، أبو البركات فخر الدين أحمد بن عبد الله (المعروف بالقادري): إرشاد العباد الى الغزو والجهاد. ط1. المطبعة العامرة. 1336هـ - 1917م.
- فرج، محمد: المدرسة العسكرية الإسلامية. ط2. دار الفكر العربي. (د.ت.).
- فرغل، يحيى هاشم حسن: معالم شخصية المسلم. (د.ط.). بيروت: منشورات المكتبة العصرية. (د.ت.).
- قطب، محمد: شبهات حول الإسلام. ط11. بيروت: دار الشروق. 1398هـ - 1978م.
- قطب، محمد: مفاهيم ينبغي أن تصحح. ط3. بيروت: دار الشروق. 1408هـ - 1988م.
- قطب، محمد: واقعنا المعاصر. ط1. السعودية: مؤسسة المدينة. 1407هـ - 1986م.
- كاظم، مازن عبد المجيد، وحازم عبد الله شاهين: مبادئ التمويه. (د.ط.). (د.ت.).
- كحيل، عبد الوهاب: الحرب النفسية ضد الإسلام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة. ط1. بيروت: مؤسسة عالم الكتب. 1406هـ - 1986م.
- كردي، محمد جمعة: فتاوى شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1416هـ - 1996م.
- كرزون، أحمد حسن: الهداية الربانية إلى الضوابط الأمنية. ط1. بيروت: دار ابن حزم. 1420هـ - 1999م.
- الكيلائي، ماجد عرسان: هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس. (د.ط.). فلسطين: مركز بيت المقدس. (د.ط.).
- محفوظ، محمد جمال الدين: العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية. (د.ط.). 1405هـ — - 1985م.

محفوظ، محمد جمال الدين: النظرية الإسلامية في الحرب النفسية. (د.ط.). القاهرة: دار
الاعتصام. (د.ت).

محفوظ، محمد جمال الدين: النظرية العسكرية في القيادة الحربية. (د.ط.). القاهرة: دار
الاعتصام. (د.ت).

المدرسي، هادي: الاستقلالية الإسلامية. بيروت: (د.ت) بيروت: دار التعارف. 1397هـ -
1977.

مناصرة، عبد الله علي السلامة: الاستخبارات العسكرية في الإسلام. ط2. بيروت: مؤسسة
الرسالة. 1412هـ - 1991م.

الميداني، عبد الرحمن حبنكة: الأخلاق الإسلامية وأسسها. ط5. دمشق: دار القلم. 1420هـ -
1999م.

النفوري، أمين: إستراتيجية الحرب ضد إسرائيل والعمل العربي الموحد. (د.ط.). 1970م.

نوفل، أحمد: الحرب النفسية من منظور إسلامي. (د.ط.). عمان: دار الفرقان. 1405هـ -
1985م.

نوفل، أحمد: الحرب النفسية "الكتاب الأول". ط1. عمان: دار الفرقان. 1405هـ - 1985م.

نوفل، أحمد، الإشاعة: (د.ط.). عمان: دار الفرقان. 1403هـ - 1983م.

هيكل، محمد خير: الجهاد والقتال في السياسة الشرعية. ط1. بيروت: دار البيارق.
1414هـ - 1993م.

ياسين، محمد نعيم: أثر الإسلام في تكوين الشخصية الجهادية للفرد والمجتمع. ط1. دار
الأرقم. 1404هـ - 1984م.

يكن، فتحي: التربية الوقائية في الإسلام. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1409هـ -
1989م.

ثامناً: الموسوعات والمعاجم:

- إبراهيم مصطفى وآخرون: **المعجم الوسيط**. (د.ط.). بيروت: دار إحياء التراث. (د.ت).
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**. ط3. بيروت: دار صادر. 1414هـ - 1994م.
- أمين، محمد فتحي: **قاموس المصطلحات العسكرية**. (د.ط.). (د.ت).
- البلبكي، منير: **موسوعة المورد العربية**. ط1. دار العلم للملايين. 1990م.
- البيطار، فراس: **الموسوعة السياسية والعسكرية**. (د.ط.). عمان: دار أسامة. 2003م.
- الجوهري، اسماعيل بن حماد: **الصحاح "تاج اللغة وصحاح العربية"**. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. (د.ط.) مصر: دار الكتاب العربي. 1376هـ - 1956م.
- الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله: **معجم البلدان**. (د.ط.). بيروت: دار صادر. 1376هـ - 1957م.
- الزركلي، خير الدين: **الأعلام**. ط3. 1389هـ - 1969م.
- عبد الله، أحمد عطيه: **القاموس السياسي**. ط1. مكتبة النهضة المصرية. 1941م.
- العيسوي، محمد عبد الرحمن: **موسوعة علم النفس الحديث**. ط1. بيروت: دار الراتب الجامعية. 2001-2002م.
- الفيروز أبادي، مجد الدين بن يعقوب: **القاموس المحيط**. (د.ط.). القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى. 1913م.
- كحالة، عمر رضا: **معجم المؤلفين**. (د.ط.). بيروت: دار إحياء التراث. (د.ت).
- الكيالي، عبد الوهاب: **الموسوعة السياسية**. (د.ط.). بيروت: دار الهدى (د.ت).
- معتوق، فريدريك: **معجم العلوم الاجتماعية**. مراجعة وإشراف: بيروت: محمد دبس. دار الكتاب العربي (أكاديميا).

الهيثم الأيوبي ورفقائه: الموسوعة العسكرية. ط2. بيروت: المؤسسة العربية. 1986م.

تاسعاً: الحاسوب – الإنترنت:

www.Said.net/bahoth/10

www.basaernews.com/news.php

An-Najah National University

Faculty of Graduate Studies

The Mental Enlightenment in The Holy Qur'an

Prepared by

Allaam Abdul-Qadir Mahmoud al-na'na'

Supervised by

Frof. Dr. Mohammed Hafiz AL-Shraydeh

*Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of
Master of Islamic Law (Shari'a) in Usol Ad-Din, Faculty of Graduate
Studies, at An-Najah National University, Nablus, Palestine.*

2007

The Mental Enlightenment in The Holy Qur'an

Prepared by

Allaam Abdul-Qadir Mahmoud al-na'na'

Supervised by

Frof. Dr. Mohammed Hafiz AL-Shraydeh

Abstract

The research is constituted of three chapters, from which I identified the following proposition.

In the first chapter I discussed, comprehensively, The Mental Enlightenment in The Holy Qur'an of this aspect.

In the second chapter I discussed the effects of The Mental Enlightenment in The Holy Qur'an, and the elements of the powerful will and its strong bases in it.

In the third chapter I discussed the concept of psychological war and the means used for the benefit of this war, in addition to the importance and objectives of this war and its effects on the souls, together with throwing light on some live spectacles and representative ones in pleasing pictures from the history of the companions of the prophet and his righteous followers and great leaders, and the extent of the moral excellence they had.

From this research, I came out with many concepts, that ought to be available to the Moslem community for overcoming the enemies, together with making utmost effort to spread fear in their hearts to prohibit them from thinking of controlling the wealth and potentialities of the Islamic nation.

I concluded my research by talking about the independence of peoples and the dangers of being dependent.

May Allah guide me to success